قواعد التفسير من خلال تفسير سورة الإنسان

دراسة تطبيقية

د. بدر بن علي بن محمد العقل

الأستاذ المشارك بقسم القرآن وعلومه، في كلية الشريعة، بجامعة القصيم

bakl@qu.edu.sa

ملخص البحث: لما كانت سورة الإنسان جديرة بالتدبر والتمعن لكل إنسان يريد النجاة، حيث تدور معظم آياتها حوله بيانًا لمبدأ أموره ووسطه ونهايته، توضيحًا لأصل خلقته، وحكمة وجوده، وتنظيمًا لأوقاته التي هي رأس ماله، طارحة عليه أسئلة مصيرية يجب عليه التأمل فيها، والإجابة عليها، ومقدِّمة له ما يضمن له به سعادته، ويوصله إلى غايته عمدت إلى السورة المباركة، وتأملت في تفسير آياتها مليًّا، مستحضرًا ومستخرجًا للقواعد التفسيرية التي يمكن أن نطبقها في تفسير آياتها، ونسترشد بها في توضيح معانيها ومقاصدها، ونوظفها في الوصول إلى التمييز بين الأقوال الصحيحة والضعيفة، وكل ذلك بعد دراسة تلك القواعد المستخرجة دراسة موجزة تبين معانيها وأمثلتها، وتوضّح كيفية توظفيها في بيان المراد من الأقوال، مستشهدًا لها بكلام المفسرين.

والهدف المنشود من ذلك كله المساهمة في تصفية التفسير مما علق به من الشوائب، والتمييز بين الصواب والخطأ، وحفظ المفسِّر قدر الإمكان بإذن الله من الوقوع في الأخطاء، وتمكينه من الرد العلمي المؤصَّل على الأقوال الضعيفة، واكتسابه الملكة في سرعة فهم القواعد التفسيرية وتطبيقها.

هذا، ويتكون أصل البحث من مبحثين، تناول الأول منهما: التعريف بالسورة، وتفسيرها، وفيه ثمانية مطالب، كما تناول المبحث الآخَر: تطبيق القواعد التفسيرية في سورة الإنسان، وعددها: خمس عشرة قاعدة، تحت خمسة عشر مطلبًا.

الكلمات المفتاحية: قواعد التفسير، سورة الإنسان، تطبيقات، القاعدة.

قواعد التفسير من خلال تفسير سورة الإنسان - دراسة تطبيقية

د. بدر بن علي بن محمد العقل

Rules of Qur'anic Interpretation through Sūrat al-Insān

An Applied Study

By Bader Ali Mohammad Alaql
Assosiate Professor in the Department of Qur'an and Its Sciences, College of Sharia, Qassim University, Saudi Arabia
bakl@qu.edu.sa

Abstract: Sūrat al-Insān is worthy of deep reflection and contemplation for every person who seeks salvation, as most of its verses revolve around the human being—clarifying the beginning of his affairs, their course, and their end. It explains the origin of human creation, the wisdom behind human existence, and the organization of time, which constitutes a person's true capital. The sūrah poses profound, existential questions that require reflection and answers, while also presenting what guarantees human happiness and leads to the ultimate purpose of existence. Accordingly, this study focuses on this blessed sūrah, carefully examining the interpretation of its verses and deriving the exegetical (tafsīr) principles that can be applied in explaining its verses. These principles serve as guides for clarifying meanings and objectives and for distinguishing between sound and weak interpretive opinions. Each extracted principle is then briefly studied to clarify its meaning and provide examples, demonstrating how it can be applied to determine the intended meaning of various interpretations, with support from the statements of classical Qur'anic exegetes. The overall aim of this research is to contribute to purifying Qur'anic interpretation from inaccuracies, distinguishing truth from error, protecting the exegete—by Allah's permission—from mistakes and slips as much as possible, enabling a sound, well-grounded scholarly response to weak opinions, and developing the ability to quickly understand and apply principles of Qur'anic interpretation. The study consists of two main sections: the first introduces Sūrat al-Insān and its interpretation and includes eight subtopics; the second discuss the applications of the interpretation principles of Sūrat al-Insān, comprising fifteen principles discussed across fifteen subtopics.

Keywords: Principles of Qur'anic interpretation, Sūrat al-Insān, applications, principle.

قواعد التفسير من خلال تفسير سورة الإنسان - دراسة تطبيقية

د. بدر بن علي بن محمد العقل

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحابته أجمعين، وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

وبعد: فلما كانت دراسة قواعد التفسير، وتطبيقاتها على الآيات القرآنية عمليًّا لها فوائد عظيمة، وميزات جمَّة كثيرة، ونتائج مبهرة؛ منها: أنها من أعظم ما يعين المرء على سلوك المنهج السليم والفهم الصحيح لكلام الله، وتمييز الصّحيح من السقيم، والوقوف على أصحّ الأقوال وأرجحها، والردّ العلمي المؤصَّل على التأويلات والأقوال الضعيفة الواهنة، والشاذة والمنكرة، فضلًا عن أن طالب العلم يكتسب بها الدُّربة والمَلَكة في فهم القواعد التفسيرية، وتطبيقها على الآيات، وتوظيفها في تفسيرها، وتساهم مساهمة فريدة في تصفية علم التفسير، وتنقيته مما علق به من الأكدار والشوائب، وتعصم بإذن الله تعالى المتصدِّي للتفسير من كثير من الأخطاء والزلل عمدت إلى سورة (الإنسان) التي هي من أعظم سور القرآن اعتناءً بالإنسان؛ باعتباره أنه محورها، وعليه تدور معظم آياتها، وأنعمت النظر في تفسير السورة، وتدبر ما ترميه إليه آياتها، مستحضرًا ومستخرجًا للقواعد التفسيرية التي يمكن تطبيقها في بيان المراد من الأقوال والآراء التي قيلت في تفسير السورة؛ توظيفًا لها في بيان معانيها ومقاصدها، ولكني قبل ذلك كله درست تلك القواعد المختارة دراسة تأصيليَّة مختصرة، مبيِّنًا معانيها، ومقاصدها، وأمثلتها، وما يصحَّح أو يضعَّف بها من الأقوال، حتى يكون القارئ على علم وبينة منها، وقد سمَّيت البحث بـ(قواعد التفسير من خلال تفسير سورة الإنسان دراسة تطبيقية).

واللهَ أسال التوفيق والإخلاص في القول والعمل، وأن يجنبني الخطأ والزلل، إنه ولي ذلك، والقادر عليه.

أ – مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في كون دراسة القواعد والأصول دراسة نظرية لا تثمر ثمرتها المرجوّة منها ما بقيت بعيدة عن التطبيق العملي لها، فضلًا عن اندثار ذلك العلم مع مرور الزمن، وضياع الجهود التي بُذِلت في سبيل الحصول عليه، ودراسة قواعده، وحفظ مسائله، وضبطها، وهذه المشكلة عامَّة لقواعد العلوم كلها، وشاملة لقواعد التفسير أيضًا ما لم تطبق تطبيقًا عمليًّا؛ لذا جاء البحث إسهامًا في معالجة هذه المشكلة، أو تخفيفها، وذلك بدراسة القواعد

التفسيرية التي ستوظف في تفسير آيات سورة الإنسان دراسةً نظريَّةً موجزة تبيِّن معانيها ومقاصدها، وتربطها بأمثلتها التوضيحية، ثم تطبيقها في خدمة تفسير السورة، والتمييز بين الأقوال الصحيحة والضعيفة، والراجحة والمرجوحة، مستعينًا بالله تعالى، وسيحاول البحث الإجابة عن الأسئلة التالية وغيرها مما هي مرتبطة بها:

- ما أهمية سورة الإنسان، وموضوعاتها، ومحورها الرئيس؟ وهل هو الإنسان كما سمّيت به السورة؟
- ما عدد القواعد التفسيرية الواردة في تفسير آيات السورة؟
- ما القواعد التفسيرية التي يمكن تطبيقها عمليًّا، وتوظيفها في تفسير السورة؟
- ما مدى تأثير إعمال تلك القواعد في إبراز محتويات السورة، وتبيين معانيها، ومقاصدها؟
- ما الفوائد التي نجنيها من تطبيقات تلك القواعد عمليًّا على سورة الإنسان؟

ب – أهمية البحث:

١ – أهمِّية تفسير سورة الإنسان التي تقدِّم برنامجًا عمليًّا للإنسان لاستثمار عمره، وسعادته وفوزه في الدارين.

٢ – خدمة كتاب الله تعالى، وذلك بدراسة القواعد التفسيرية المتعلِّقة بسورة الإنسان، وتطبيقها على آياتها عمليًّا.

٣ – شدة الحاجة إلى دراسة قواعد التفسير وتطبيقها عمليًّا حتى نجني منها الفوائد الجمَّة المترتِّبة عليها.

٤–دراسة وتطبيق القواعد التفسيرية من أعظم ما يعين على الفهم الصحيح لكلام الله، ويثمر الملكة في استحضارها.

ج – أهداف البحث:

١ – الوقوف على الكنز التفسيري من تراثنا، وعلى كلام المفسرين الذين تناولوا تفسير سورة الإنسان.

٢ – الاستفادة من الهدايات والإرشادات الواردة في تفسير السورة.

٣ – الاطلاع على قواعد التفسير التي ستطبق على تفسير السورة، وتوظَّف في إبراز معانيها.

٤ — التدريب على الربط بين قواعد التفسير النظرية، وتطبيقاتها في آيات السورة.

٥ – الإسهام في تنقية التفسير مما علق فيه من الأقوال الضعيفة الواردة في تفسير السورة، وذلك بدراسة قواعد التفسير وتطبيقاتها، وربطها بأمثلتها ومسائلها، وتمييز الصحيح من السقيم من الأقوال.

د – الدراسات السابقة:

بعد البحث والتفتيش وسؤال أهل الشأن لم أعثر – حسب جهدي – على من تناول تفسير سورة (الإنسان)، ودرسها مطبقًا القواعد التفسيرية الواردة فيها.

هـ – منهج البحث:

اتبعت في كتابة هذا البحث المنهج الاستقرائي، والوصفي، والتحليلي.

و – خطة البحث:

يشتمل البحث على مقدمة، ومبحثين، وخاتمة، وفهرس للمصادر والمراجع.

فالمقدمة: فيها مشكلة البحث، وأهمِّيته، وأهدافه، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وخطَّته.

المبحث الأول: التعريف بسورة الإنسان، وتفسيرها [وفيه ثمانية مطالب]:

المطلب الأول: بين يدي السورة الكريمة.

المطلب الثاني: أسماء السورة.

المطلب الثالث: مكان نزول السورة.

المطلب الرابع: موقعها من المصحف، وترتيبها، وعدد حروفها، وكلماتها، وآياتها.

المطلب الخامس: فضائل السورة، وسبب نزولها.

المطلب السادس: محور السورة، وأهمّ مقاصدها.

المطلب السابع: أهمّ مناسبات السورة.

المطلب الثامن: المعنى الإجمالي للسورة.

المبحث الثاني: تطبيق القواعد التفسيرية في تفسير سورة الإنسان [وفيه خمسة عشر مطلبًا]

المطلب الأول: حمل تفسير الآية على معاني سياقها أولى من الخروج به عنه.

المطلب الثاني: لا يجوز العدول عن تفسير السلف، وفهمهم للآية.

المطلب الثالث: إذا تبيَّن بالدَّليل أن ظاهر القرآن غير مراد فيجب تأويله.

المطلب الرابع: وجوب الحمل على بقاء الترتيب إلا لدليل.

المطلب الخامس: الواجب حمل تفسير الآيات على الظاهر والمعروف من المعاني إلّا أن يقع دليل على غير ذلك.

المطلب السادس: زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى غالبًا.

المطلب السابع: التفسير الموافق لرسم المصحف أولى من التفسير المخالف له.

المطلب الثامن: الوجه الإعرابي الموافق لرسم المصحف أولى من الوجه المخالف له.

المطلب التاسع: حذف المتعلّق يفيد تعميم المعنى المناسب له.

المطلب العاشر: إذا كانت الآية تحتمل معنيين لا مرجِّح لأحدهما على الآخر، ولا يتضادان؛ فإنها تُحمَل عليهما جميعًا.

المطلب الحادي عشر: العموم يجب إبقاؤه على عمومه ما لم يرد دليل بالتخصيص.

المطلب الثاني عشر: الأصل عدم النسخ ما لم يقم دليل صحيح صريح على خلاف ذلك.

المطلب الثالث عشر: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

المطلب الرابع عشر: إذا دار اللفظ بين أن يكون زائدًا أو متأصِّلًا فإنه يُحمل على تأصيله.

المطلب الخامس عشر: عود الضمير على غير مذكور بل مدلول عليه بشيء، خلاف الأصل.

والخاتمة: فيها أهمُّ النتائج والتوصيات، وفهرس المصادر والمراجع.

د. بدر بن علي بن محمد العقل

المبحث الأول

التعريف بسورة الإنسان، وتفسيرها

[وفيه ثمانية مطالب]:

المطلب الأول/ بين يدي السورة الكريمة:

في السورة تعريف بحال الإنسان، ونشأته، ومبدأ أمره، ووسطه، ونهايته، وتوضيح لأصل خلقته، وحكمة وجوده، والتفكير مليًّا في فترات ضعفه المتمثلة في أطوار حياته، ومراحل انتقاله فيها؛ كلُّ ذلك ضرورة في بيان قلة حيلته، وضعفه في نفسه، وفي إرادته وهمَّته، وفي كل أمر من أموره؛ مصداقًا لقوله تعالى: ﴿وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا﴾ [النِّسَاء: ٢٨]، ومن ضعفه أنه أتى عليه حين من الدَّهر لم يكن شيئًا مذكورًا؛ أي: لا يُذكر، ولا يُعرف، ولا يُدرى ما اسمه، ولا ما يُراد به[(١)]؛ فأوجده الله من عدم، ومن فعل ذلك كان بعثه بعد موته أهون عليه، فهلَّا تدبر الإنسان هذه الحقيقة الحتمية بأناة ورويّة، وقام بعبودية من خلقه، وأكرمه، ورفع شأنه، وجعل له الشرف والنباهة والفضل بعد أن لم يكن كذلك؟! قال تعالى: ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ۝١ إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ۝٢ إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣...﴾ [الإنسَان: ١-٣].

وأن يتيقَّن الإنسان أن لا طريق له للكبر، واعتقاد السيادة لنفسه، وألَّا يغالطه ما اكتنفه من الألطاف الربانية، والاعتناء الإلهي والتكرمة، فيعتقد أنه يستوجب ذلك، ويستحقّه، ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النَّحل: ٥٣]. وما من شكٍّ أن مفتاح سعادة الإنسان وسرّ نجاحه في الدارين كامن في معرفته بنفسه، ووقوفه على حقيقة أمره، وأيُّ شيء هو؟ ومن أين أتى؟ ومن الذي خلقه؟ ولأي شيء خُلِق؟ وما غايته ورسالته في هذه الحياة؟ وإلى أين مصيره ومآله؟ وبأيّ شيء تكون سعادته، أو شقاؤه؟ وما العوائق التي تعترض سبيله في الوصول إلى هذه السعادة؟ وما الأمور التي تكون أسبابًا في ذلك الشقاء؟ أسئلة في غاية الأهميَّة، وحقائق علميَّة تحدِّد مصير الإنسان ومآله، تصدَّت

(١) انظر: «الكشف والبيان» للثعلبي (٢٨/ ١٩١). «النكت والعيون» للماوردي (٦/ ١٦٢). «معالم التنزيل» للبغوي (٨/ ٢٨٩). «تفسير ابن كثير» (٨/ ٢٨٥).

لتوضيحها كلها والإجابة عليها إجابات شافية وكافية آيات القرآن الحكيم، وسورها، وبيَّنتها أتمَّ بيان، وعلى رأس القائمة سورة الإنسان، وكل هذا يدعو الإنسان بقوّة إلى التمسك بالإسلام، والاعتصام بحبله المتين، ونهل الحقائق من معينه الصّافي، كيف لا وهو دين جاء خصِّيصًا من أجل إسعاد المكلَّفين من الإنس وغيرهم، وهدايتهم لأقوم طريق، وأهدى سبيل؛ لأنه من عند الله العليم بأسرار نفس الإنسان، الخبير بما يزكّيها، وبما يفسدها، المطَّلع على مواطن القوة والضعف فيها، كما قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾[الملك:١٤]، وقال سبحانه: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾[الأنعام: ٣٨].

المطلب الثاني/ أسماء السورة:

لسورة «الإنسان» عدد من الأسماء التوقيفية، وأخرى اجتهادية، فمن التوقيفية:

١ – «سورة الإنسان»؛ لذكرها بهذا الاسم في قول ابن عباس – رضي الله عنهما – : «نزلت سورة الإنسان بالمدينة»(٢). وبذلك كُتِبت في المصاحف والتفاسير؛ لحديثها عنه في مطلعها(٣).

٢، ٣ – ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾، و ﴿هَلْ أَتَىٰ﴾(٤) اختصارًا، باعتبار مستهلّها به، وكانت تسمَّى به في زمن أصحاب رسول الله ﷺ. فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ – رضي الله عنهما – «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقْرَأُ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ، يَوْمَ الْجُمُعَةِ: الٓمٓ تَنزِيلُ السَّجْدَةِ، وَ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ﴾»(٥).

---

(٢) رواه ابن الضريس في «فضائل القرآن» (ص:٣٣، رقمه:١٧). البيهقي في «دلائل النبوة» (٧/١٤٢– ١٤٤). ابن مردويه كما في الدر المنثور (٨/ ٣٦٥). انظر: «المكي والمدني» للفالح (ص:٤٧٣).

(٣) انظر: «تفسير مقاتل بن سليمان» (٤/ ٥١٧). «معاني القرآن للفراء» (٣/ ٢١٣). «جامع البيان» (٢٣/ ٥٢٩). «معاني القرآن للزجاج» (٥/ ٢٥٧). «بحر العلوم» (٣/ ٥٢٥). «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ١١٨). «روح المعاني» (١٥/ ١٦٦). «أسماء سور القرآن وفضائلها» للدوسري (ص: ٤٩٧– ٤٩٨).

(٤) انظر: «تفسير مجاهد» (ص٦٨٨). «مجاز القرآن» (٢/ ٢٧٩). «تفسير عبد الرزاق» (٣/ ٣٧٣). «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ١١٨). «مصاعد النظر» (٣/ ١٤٣). «التحرير والتنوير» (٢٩/ ٣٦٩). «أسماء سور القرآن وفضائلها» (ص: ٤٩٨– ٤٩٩).

(٥) رواه مسلم في الجمعة، باب ما يقرأ في يوم الجمعة (ح٨٧٩). وروى نحوه البخاري في الجمعة، باب ما يقرأ في صلاة الفجر يوم الجمعة(ح٨٩١). ومسلم في الجمعة، باب ما يقرأ في يوم الجمعة (ح٨٨٠) من حديث أبي هريرة.

وعَنْ عَلْقَمَةَ، وَالْأَسْوَدِ، قَالَا: أَتَى ابْنَ مَسْعُودٍ رَجُلٌ، فَقَالَ: إِنِّي أَقْرَأُ الْمُفَصَّلَ فِي رَكْعَةٍ، فَقَالَ: أَهَذًّا كَهَذِّ الشِّعْرِ(٦)، وَنَثْرًا كَنَثْرِ الدَّقَلِ(٧)، «لَكِنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقْرَأُ النَّظَائِرَ السُّورَتَيْنِ فِي رَكْعَةٍ» -إلى أن قال:- «وَ﴿هَلْ أَتَىٰ﴾ وَ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾[القيامة: ١] فِي رَكْعَةٍ..»(٨).

ولسورة الإنسان أيضًا أسماء اجتهادية مأخوذة مما ورد فيها من الكلمات، ومنها:

١ – «سورة الدَّهر» سُمِّيت بها في كثير من المصاحف؛ لورود كلمة الدهر في مطلعها(٩).

٢ – «سورة الأمشاج»؛ لوقوع لفظ الأمشاج في مطلعها، ولم يقع في غيرها من القرآن(١٠).

٣ – «سورة الأبرار»؛ لوقوع لفظ الأبرار فيها(١١).

المطلب الثالث/ مكان نزول السورة:

اختُلِف في مكّية سورة «الإنسان» ومدنيّتها على ثلاثة أقوال:

القول الأول: أنها مكيَّة، هذا مرويٌّ عن ابن عباس(١٢)، وابن الزبير(١٣)، وهو قول قتادة، ومقاتل، والكلبي،

---

(٦) الهَذُّ: الإسراع في القطع وفي القراءة. يقال: هو يهذُّ القرآنَ هَذًّا، أي: يسرده. انظر: «الصحاح» ((٢/ ٥٧٢)(هذذ).

(٧) هو: رديء التَّمر، ويابِسُه، فَتراه ليُبْسه ورَدَاءته لَا يجْتَمِع، وَيَكُونُ مَنْثُورًا. «النهاية في غريب الحديث» (٢/ ١٢٧) (الدقل).

(٨) رواه أبو داود في الصلاة، باب تحزيب القرآن (ح:١٣٩٦). قال الأرنؤوط في تحقيقه لسنن أبي داود(٢/ ٥٤٣): «إسناده صحيح».

(٩) انظر: «غريب القرآن»لابن قتيبة(ص٥٠٢).«زاد المسير»(٤/ ٣٧٤).«روح المعاني»(١٥/١٦٦).«التحرير والتنوير» (٢٩/ ٣٦٩).

(١٠) انظر: «مصاعد النظر»(٣/ ١٤٣). «روح المعاني»(١٥/ ١٦٦). «التحرير والتنوير»(٢٩/ ٣٦٩).

(١١) انظر: «روح المعاني» (١٥/ ١٦٦). «أسماء سور القرآن وفضائلها» (ص: ٥٠٠- ٥٠١).

(١٢) أخرجه عنه النحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص٧٥٧) من طريق يموت بن المزرع. وأبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص٣٦٥) من طريق علي بن أبي طلحة. انظر: «الدر المنثور» (٨/ ٣٦٥). «فتح القدير» (٥/ ٤١٤). «المكي والمدني» للفالح (ص: ٤٧٤).

(١٣) أخرجه عنه ابن مردويه كما في الدر المنثور (٨/ ٣٦٥). انظر: «فتح القدير» (٥/ ٤١٤).

ويحيى بن سلام، وعطاء بن يسار، والطبري[١٤]. وهو منسوب لابن مسعود؛ وكذلك رتَّبها في مصحفه[١٥]. وعليه اقتصر معظم المفسرين، ونسبه أبو حيان، والخفاجي إلى الجمهور[١٦].

والقول الثاني: أنها مدنيّة كلها، رواه مجاهد، عن ابن عباس[١٧]، وهو قول جابر بن زيد، وابن شهاب الزهري، وحكي عن قتادة أيضًا[١٨].

ونسبه إلى الجمهور عدد من المفسرين، منهم: ابن الجوزي، والقرطبي، وابن عادل، والشوكاني[١٩].

والقول الثالث: أنّ فيها مكِّيًّا ومدنيًّا. ثم في ذلك رأيان مشهوران، أحدهما: أن المكّيّ منها آية واحدة فقط، وهي قوله – عزّ وجلّ – : ﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورٗا﴾[الإنسان:٢٤]، وبقية آيات السورة كلها مدنيّة، قاله الحسن، وعكرمة.

والرأي الآخر: أنّ أوّل السورة مدنيّ إلى قوله تعالى:﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ تَنزِيلٗا﴾[الإنسان:٢٣]، ومن هذه الآية إلى آخرها مكّيّ[٢٠].

---

(١٤) انظر: «تفسير مقاتل بن سليمان» (٤/ ٥١٩). «فضائل القرآن لأبي عبيد»(ص٣٦٥).«جامع البيان»(٢٣/ ٥٢٩).«النكت والعيون»(٦/ ١٦١).«معالم التنزيل»(٨/ ٢٨٩). «زاد المسير»(٤/ ٣٧٤).«التفسير الكبير»(٣٠/٧٣٩). «الجامع لأحكام القرآن»(١١٨/١٩).«مجموع فتاوى ابن تيمية»(٤١٩/٤).«البحر المحيط»(٣٥٨/١٠).«تفسير ابن كثير»(٨/ ٢٨٥).«الدر المنثور»(٣٦٥/٨).«روح المعاني»(١٦٦/١٥).

(١٥) قال أبو داود في كتاب الصلاة، باب تحزيب القرآن، بعد حديث (رقمه:١٣٩٦): «هذا تأليف ابن مسعود رحمه الله».

(١٦) انظر: «البحر المحيط» (٣٥٨/١٠). «حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي» (٨/ ٢٨٤). «التحرير والتنوير» (٢٩/ ٣٧٠).

(١٧) سبق تخريجه في المطلب الثاني: أسماء السورة، حاشية رقم (٢).

(١٨) انظر: «البيان في عدِّ آي القرآن» (ص١٣٦). «الكشاف»(٤/ ٦٦٥). «زاد المسير»(٤/ ٣٧٤). «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ١١٨). «التسهيل لعلوم التنزيل» (٢/ ٤٣٦). «اللباب في علوم الكتاب» (٢٠/ ٣). «الدر المنثور» (٨/ ٣٦٥). «فتح القدير» (٥/ ٤١٤). «الإتقان» (١/ ٥١). «روح المعاني» (١٥/ ١٦٦). «التحرير والتنوير» (٢٩/ ٣٧٠).

(١٩) انظر: «زاد المسير» (٤/ ٣٧٤). «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ١١٨). «اللباب في علوم الكتاب» (٢٠/ ٣) «فتح القدير» (٥/ ٤١٤).

(٢٠) انظر: «النكت والعيون» (٦/ ١٦١). «معالم التنزيل» (٨/ ٢٨٩). «زاد المسير» (٨/ ١٤١)، «الجامع لأحكام القرآن»

قال ابن عاشور منتقدًا هذا القول: «ولم يذكر هؤلاء أن تلك الآيات من أيَّة سورة كانت تعدّ في مكة إلى أن نزلت سورة الإنسان بالمدينة! وهذا غريب، ولم يعيّنوا أنه في أية سورة كان مقروءًا»[٢١].

والراجح – والعلم عند الله – أن السُّورة مكِّيَّة روايةً ودرايةً، فأمَّا روايةً فبالنظر إلى جميع الأدلَّة التي ذكروها في مكان نزول السورة لا يصلح للاحتجاج منها إلا رواية علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس[٢٢]، وهي من أدلَّة مكِّيَّة السُّورة، وليس هناك ما يعارضها؛ وبقية الأدلَّة كلها ضعيفة لا يمكن الحكم من خلالها على مكِّيَّة السُّورة أو مدنيَّتها[٢٣].

وأمَّا درايةً فلاشتمالها على خصائص السور المكِّيَّة، حيث إن مكِّيتها ظاهرة من خلال أسلوبها، وموضوعاتها، وسياق آياتها، إذ جاء الحديث في السورة عن بدء خلق الإنسان، وهداية الخلق بمصالحهم، وذكر ثواب الأبرار في دار القرار، وذكر الْمِنَّة على الرّسول ﷺ، وأمره بالصّبر، وقيام اللَّيل، والْمِنَّة على الخلق بإحكام خلقهم، وإضافة كلِّيّة المشيئة إلى الله سبحانه، كلُّ ذلك من خصائص السُّور المكِّية[٢٤].

قال ابن تيمية: «وسورة ﴿هَلۡ أَتَىٰ﴾ مكِّية باتفاق أهل التفسير والنقل، لم يقل أحد منهم إنها مدنيّة. وهي على طريقة السُّوَر المكِّية في تقرير أصول الدّين المشتركة بين الأنبياء، كالإيمان بالله، واليوم الآخر، وذكر الخلق، والبعث. ولهذا قيل: إنه كان النبي ﷺ يقرؤها مع ﴿الٓمٓ تَنزِيلُ﴾ في فجر يوم الجمعة؛ لأن فيه خُلِق آدم، وفيه دخل الجنة، وفيه تقوم الساعة[٢٥].

وهاتان السورتان متضمنتان لابتداء خلق السماوات والأرض، وخلق الإنسان؛ إلى أن يدخل فريق الجنة،

(١٩/ ١١٨). «البحر المحيط» (١٠/ ٣٥٨). «تفسير ابن كثير» (٨/ ٢٨٥). مصاعد النظر» (٣/ ١٤٣). «فتح القدير» (٥/ ٤١٤). «روح المعاني» (١٥/ ١٦٦). «التحرير والتنوير» (٢٩/ ٣٧٠). «المكي والمدني للفالح» (ص٤٧٣).

(٢١) «التحرير والتنوير» (٢٩/ ٣٧٠).

(٢٢) سبق تخريجه في نفس المطلب هذا، حاشية رقم (١٢).

(٢٣) انظر: «المكي والمدني للفالح» (ص٤٧٦ – ٤٧٧).

(٢٤) انظر: «بصائر ذوي التمييز» (١/ ٤٩٣). «المكي والمدني للفالح» (ص٤٧٦– ٤٧٧).

(٢٥) رواه مسلم في الجمعة، باب فضل يوم الجمعة (ح٨٥٤) من حديث أَبي هُرَيْرَةَ ﷺ.

وفريق النار»[٢٦].

وقال ابن عاشور: «والأصحّ أنها مكيّة؛ فإن أسلوبها ومعانيها جارية على سنن السور المكية...»[٢٧].

المطلب الرابع/ موقعها من المصحف، وترتيبها، وعدد حروفها، وكلماتها، وآياتها:

تقع سورة «الإنسان» في الرُّبعَينِ: السابع والثامن، من الحزب الثامن والخمسين، من الجزء التاسع والعشرين، وترتيبها بحسب المصحف العثماني السادسة والسبعون، وهي ألف وأربعمائة وخمسون (١٤٥٠) حرفًا، ومائتان وأربعون (٢٤٠) كلمة، وفواصل آياتها على الأَلِف، وقد اتفق العادّون على أن عدد آيها إحدى وثلاثون (٣١) آية[٢٨]، ونزلت بعد سورة "الرحمن"، وقبل سورة "الطلاق"[٢٩].

وأما ترتيبها حسب نزولها – بناء على القول الراجح – فهي سورة مكيّة أخذًا بترتيب مصحف ابن مسعود ﷺ[٣٠] فتكون الثلاثين، أو الحادية والثلاثين، وجديرة بأن تعدَّ قبل سورة "القيامة"، أو نحو ذلك حسبما ورد في ترتيب ابن مسعود ﷺ[٣١].

المطلب الخامس/ فضائل السورة، وسبب نزولها:

وردت في فضائل سورة «الإنسان» أحاديث، فمنها ما يصحُّ، ومنها ما لا تصح أسانيدها حسب كلام أهل الاختصاص فيها[٣٢]، ونكتفي بذكر الصحيح منها، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقْرَأُ فِي الْجُمُعَةِ فِي

(٢٦) «منهاج السنة» (٧/ ١٧٩- ١٨٠).

(٢٧) «التحرير والتنوير» (٢٩/ ٣٧٠). انظر أيضًا: «المقدّمة الخامسة في أسباب النزول» في «مقدمة التحرير والتنوير» (١/ ٤٦).

(٢٨) انظر: «جامع البيان» (٢٣/ ٥٢٩). «الكشف والبيان» (٢٨/ ١٨٩). «البيان في عد آي القرآن» (ص١٣٦). «أقوى العُدَدِ في معرفةِ العَدَدِ للسخاوي»(ص٣١٢) «بصائر ذوي التمييز»(١/ ٤٩٣). «التحرير والتنوير»(٢٩/ ٣٧٠).

(٢٩) انظر: «بصائر ذوي التمييز» (١/ ٩٩).

(٣٠) سبق توثيقه في المطلب الثالث: مكان نزول السورة، حاشية رقم (١٥).

(٣١) قيل في ترتيبها: الثامنة والتسعون، كما عدَّها جابر بن زيد، وقال: نزلت بعد "الرحمن" وقبل "الطلاق". وهذا جري على أن السورة مدنية. انظر: «بصائر ذوي التمييز» (١/ ٩٩). «التحرير والتنوير» (٢٩/ ٣٧٠).

(٣٢) انظر في ذلك: «الكشف والبيان» (٢٨/ ١٩٠). «تخريج أحاديث الكشاف للزيلعي» (٤/ ١٣٦). «بصائر ذوي

صَلَاةِ الْفَجْرِ: ﴿الٓمٓ تَنزِيلُ﴾ السَّجْدَةَ، وَ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾»[٣٣].

وعن وَاثِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ ﷺ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أُعْطِيتُ مَكَانَ التَّوْرَاةِ السَّبْعَ[٣٤]، وَأُعْطِيتُ مَكَانَ الزَّبُورِ الْمَئِينَ، وَأُعْطِيتُ مَكَانَ الْإِنْجِيلِ الْمَثَانِيَ، وَفُضِّلْتُ بِالْمُفَصَّلِ»[٣٥].

وأمَّا سبب نزول السورة فقد ورد فيه عدد من الأسباب، لكنها لا تصحّ، كما يتبيّن من تخريج العلماء لها، والعلم عند الله تعالى[٣٦].

قال القرطبي: «والصحيح أنها نزلت في جميع الأبرار، ومن فعل فعلًا حسنًا، فهي عامَّة.

وقد ذكر النقاش والثعلبي والقشيري وغير واحد من المفسرين في قصة علي وفاطمة وجاريتهما حديثًا لا يصحّ، ولا يثبت...[٣٧]، ومثل هذه الأحاديث مفتعلة...»[٣٨].

التمييز»(١/ ٤٩٤). «السراج المنير» (٤/ ٤٦٢).

(٣٣) رواه البخاري في الجمعة، باب ما يقرأ في يوم الجمعة (ح:٨٩١). ومسلم في الجمعة، باب ما يقرأ يوم الجمعة (ح: ٨٨٠).

(٣٤) أي: الطُّوَل، ووجه التسمية لطولها على سائر سُوَر القرآن، وهي: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، ويونس. وأما الْمِئون: فهي ما كان من سُور القرآن عددُ آيِهِ مئة آية، أو تزيد عليها شيئًا، أو تنقص منها شيئًا يسيرًا. وأما الْمَثَاني: فإنها ما ثنَّى المئين فتلاها، وكان المئون لها أوائل، وكان المثاني لها ثواني. وأما الْمُفَصَّل: فإنها سُمِّيت مفصَّلًا لكثرة الفصول التي بين سورها بـ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾. انظر: جامع البيان (١/ ٩٨ - ١٠٢). «الإتقان» (١/ ٢٢٠).

(٣٥) رواه أحمد (٢٨/ ١٨٨،ح٦٩٨٢). والطيالسي في «مسنده»(٢/ ٣٥١،ح ١١٠٥). ومن طريقه أخرجه الطبري في «جامع البيان» (١/ ٩٦). والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٣/ ٤٠٩، ح:١٣٧٩). والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/٤٧٥). حسَّن إسناده الألباني في الصحيحة (ح: ١٤٨٠). والأرنؤوط وزملاؤه في تحقيقهم للمسند.

(٣٦) انظر هذه الروايات في: «االمعجم لكبير» (١٢/ ٤٣٦، ح: ١٣٥٩٥). «المعجم الأوسط» (٢/ ١٦١، ح ١٥٨١). «حلية الأولياء» (٣/ ٣٢٠). «الكشف والبيان» (٢٨/ ٢٥٦، ح:٣٣٣٠). «الموضوعات» لابن الجوزي (٢/ ٤٣). «تفسير ابن كثير» (٢/ ٣٥٦ - ٣٥٧). «الدر المنثور»(٨/٣٧٠). «اللآلىء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة» (١/ ٤٠٨). «روح المعاني»(١٥/ ١٧٢). «ضعيف الترغيب» للألباني (ح:٢٠٩٧). «المكي والمدني» للفالح (ص:٤٧٥).

(٣٧) رواه الثعلبي في «الكشف والبيان» (٢٨/ ٢٢٥). انظر: «تفسير مقاتل بن سليمان» (٤/ ٥٢٥). «نوادر الأصول» لحكيم الترمذي (١/ ٢٤٤- ٢٤٧). «أسباب النزول للواحدي» (ص٤٤٨). «زاد المسير» (٤/٣٧٧). «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ١١٨). «اللباب في علوم الكتاب» (٢٠/ ٣). «التحرير والتنوير» (٢٩/ ٣٧٠).

(٣٨) «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ١٣٠- ١٣٥).

وذكر ابن تيمية أنه كذب موضوع باتفاق أهل المعرفة بالحديث، ومردود بثلاثة عشرَ وجهًا(٣٩).

المطلب السادس/ محور السورة، وأهمّ مقاصدها:

باعتبار الإنسان محورًا لسورة «الإنسان»؛ سمِّيت به، وتحدثت عنه، وركَّزت عليه، ودارت آياتها حول التعريف به؛ بيانًا لحقيقته، وتوضيحًا لأصل نشأته، عن أيِّ شيء هو؟ ومن الَّذي كرَّمَه وشرَّفه، ورفع شأنه في الحياة بعد أن لم يكن شيئًا مذكورًا؟ وما حكمة الله في إيجاده؟ وما رسالته في هذه الدنيا ؟ وإلى أين سوف يكون مصيره؟ كلّ ذلك لكي يقوم بوظيفته، وما خُلِق له أحسن قيام، ويقف على أصل خلقته، وحقيقة أمره؛ فيخضع للخالق، ويتواضع، ويلين للمخلوق، ولا يغترّ، ويتعالى على غيره، ويغفل مكانته، ويستهين بدوره المنشود في الحياة ، وليتذكر غاية وجوده، وليتبصَّر وظيفته، وليعلم أنه خُلِق للابتلاء في دار مرور ونفاد، لا محلّ دوام وإخلاد، وفي مركب عبور، لا منزل حبور، وأنه يومًا سيصير – لا محالة – إلى دار الجزاء والبقاء، حتى يسلك سبيل النجاة، ويعمل بمقتضى تلك السبيل(٤٠).

ومن أهمّ وأعظم مقاصد هذه السورة العجيبة الشأن، والجديرة بالتدبّر والتفكّر وإنعام النظر ما يلي:

١ – التذكير بأصل الإنسان، وحقيقته، وأنه كُوِّن بعد أن لم يكن، فكيف يغترُّ بما منَّ الله عليه من النَّعيم، ويتعالى على الآخرين؟! أو كيف ينكر البعث، ويقضي باستحالة إعادة تكوينه بعد موته؟!

٢ – الحديث عن أطوار الإنسان التي يمرُّ بها في الحياة بيانًا لإعجاز القرآن الكريم، وأنه من عند الله تعالى؛ لأنه لم يكن ذلك من علوم العرب الأوائل، بل العالَم لم يعرف هذه الأطوار إلا في العصر الحديث.

٣ – الامتنان على الناس بنعمة الإدراك، والتمييز بين الخير والشرّ، فمن الناس من شكر النعم، فاستحق الوعود العظيمة مع الإطناب في وصف جزائهم، ومنهم من كفر النعم فعبد غير الله، فاستحق ما أعدَّ لهم لكفرهم.

٤ – تثبيت النبي ﷺ على القيام بأعباء الرسالة، والصبر على ما يلحقه في ذلك، والإشارة إلى أن الاصطفاء

---

(٣٩) انظر هذه الأوجه في: «منهاج السنة» (٧/ ١٧٤– ١٨٧).

(٤٠) انظر: «نظم الدرر» (٢١/ ١٢٣). وانظر أيضًا: «رياض الصالحين» (ص٢٧). «البرهان «البرهان فى تناسب سور القرآن» (ص٣٥٢ – ٣٥٣). «التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم» (٨/ ٥٠٧).

للرسالة نعمة عظيمة يستحقُّ أن يُشكَر الله عليها، والأمر بالإقبال على ذكر الله، والصلاة في أوقات من النهار والليل(٤١).

٥ – تضمنت السورة خلق الإنسان، وهدايته، وإثبات السبب، وكون العبد فاعلًا مريدًا حقيقةً، وأن فاعليته ومشيئته إنما هي بمشيئة الله، ففيها الرد على القدرية والجبرية.

٦ – كان ختم سورة «الإنسان» بالشرع والقدر؛ كما كان افتتاحها بالخلق والهداية، فقوله تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾ تضمَّن شرع الله، ومحلَّ أمره ونهيه، كما تضمَّن قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ قضاءه وقدره(٤٢).

المطلب السابع/ أهمّ مناسبات السورة:

مناسبات السورة من عدة وجوه، وسأقتصر على أهمّ المناسبات الظاهرة، وهي:

أ – المناسبة بين اسم السورة، ومضمونها:

هذه المناسبة ظاهرة جدًّا، ولا تحتاج إلى بيان، حيث إن معظم آيات السورة تدور حول الإنسان.

ب – المناسبة بين فاتحة السُّورة، وخاتمتها:

بدأ مطلع السورة بالحديث عن خلق الإنسان، وتذكيره بحقيقته، وخلقته، وأصل نشأته، وهدايته إلى السبيل، وأن كل ذلك على أساس الابتلاء، والاختبار، وكذلك في خاتمة السورة تذكير بخلقه، وبيان مصيره المحتوم الذي هو عاقبة الابتلاء، ونتيجته، فبدأت السورة بأول أحوال الإنسان وهي النطفة، وختمها بآخر أحواله وهي كونه من أهل الرحمة، أو العذاب، ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾ نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا﴾ –إلى قوله– ﴿وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾﴾[الإنسان:٢٧– ٣١](٤٣).

(٤١) انظر: «التحرير والتنوير» (٢٩/ ٣٧١). «عون الرحمن في تفسير القرآن» (٢٣/ ٣٢١ – ٣٢٢).

(٤٢) انظر: «جامع الرسائل» لابن تيمية (١/ ٦٩– ٧٧). «دقائق التفسير» (٣/ ٢١– ٢٨).

(٤٣) انظر: «التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم» (٨/ ٥٠٨).

ج – المناسبة بين سورة الإنسان، وما قبلها:

وجه اتصال سورة «الإنسان» بسورة «القيامة» ظاهر، ويتجلّى ذلك من عدة وجوه:

١ – سُمِّيت السورة بسورة «الإنسان»، وذُكِر فيها هذا اللفظ مرتين: في الآية الأولى، والثانية، وتدور حوله سائر آياتها، وهو محور السورة، بينما ذُكِر الإنسان في سورة «القيامة» ست مرات. انظر الآيات: (٣ – ٥ — ١٠ – ١٣ – ١٤ – ٣٦).

٢ – ذكر الله –تعالى– في مطلع سورة «الإنسان» مبدأ خلق جنس الإنسان بناء على القول الراجح(٤٤)، وذكر كذلك في آخر سورة «القيامة» خلقه، وأطواره، ففي السورتين حديث عن نشأة الإنسان، وأصل حقيقته، وهدايته، وكذلك مصيره المحتوم الذي ينتظره.

٣ – في السورتين إشارة إلى فتنة العاجلة التي تصدّ عن قبول الحق، وتكون سببًا لفوات النعيم المقيم في الجنة، والبحث عن سبيل النجاة. ففي سورة «الإنسان»: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمٗا ثَقِيلٗا ٢٧﴾ [الإنسان:٢٧] وفي سورة «القيامة»: ﴿كَلَّا بَلۡ تُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ ٢٠ وَتَذَرُونَ ٱلۡأٓخِرَةَ﴾[القيامة:٢٠-٢١].

٤ – بينت خاتمة سورة «القيامة» أن الإنسان لم يخلق عبثًا، ولن يُترك سدًى، ثم ذكَّرته بمراحله، وأطواره الأولى قبل أن يتمَّ خلقه حيث كان نطفة من مني، ثم علقة، ثم خلقه الله، وسوَّاه، وجاءت مقدمة سورة «الإنسان» مقرِّرة لهذا المعنى، وموضِّحة له.

٥ – في السورتين حديث عن نعمة إنزال القرآن، فهو سبيل الهدى والرشاد، وطريق النجاة والإسعاد.

٦ — وُصِف حال القيامة في سورة «القيامة» ، ولم يوصف فيها حال الجنة والنار؛ بل جاء ذكرهما على سبيل الإجمال، ففصّل حال الجنة في سورة «الإنسان»، وأطنب في وصفها، وذلك كله شرح لقوله تعالى هناك: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ﴾[القيامة:٢٢]، كما أشير إلى حال النار، فقوله هنا: ﴿إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۠ وَأَغۡلَٰلٗا وَسَعِيرٗا﴾ شرح لقوله هناك: ﴿تَظُنُّ أَن يُفۡعَلَ بِهَا فَاقِرَةٞ﴾[القيامة:٢٥].

---

(٤٤) ترجحه قاعدة: «حمل تفسير الآية على معاني سياقها أولى من الخروج به عنه». سيأتي تفصيلها في المطلب الأول، من المبحث الثاني.

والخلاصة أن سورة «الإنسان» تفصيل لما ورد في سورة «القيامة» [٤٥].

د – المناسبة بين خاتمة السورة، وما بعدها:

لما ختمت سورة «الإنسان» بالوعد لأوليائه، والوعيد لأعدائه، وكان الكفار يكذبون بذلك، افتتحت سورة «المرسلات» بالإقسام على أن ذلك كائن، فقال: ﴿وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ عُرۡفٗا ۝١...﴾[المُرۡسَلَات:١] الآيات؛ فأقسم – تعالى – بما ذكره من مخلوقاته على صدق الموعود به في سورة «الإنسان»، فبدأ بالإقسام فيها بالملائكة المتتابعين في الإرسال، فالرياح المسخرة، والآتية بالمطر، فالملائكة الفارقة بما تنزل به بين الحقّ والباطل، فالملقيات الذكر بالوحي إلى الأنبياء؛ إعذارًا من الله وإنذارًا[٤٦].

المطلب الثامن/ المعنى الإجمالي للسورة:

اعلم أن هذه السورة المختصرة العجيبة الشأن ابتدأت بقوله: ﴿هَلۡ أَتَىٰ...﴾ والمعنى: قد أتى باتفاق المفسرين، وأن الله –تعالى– ابتدأها بذكر كيفيَّة خلق الانسان من النطفة ذات الأمشاج أي: الأخلاط؛ التي لم يزل بقدرته ولطفه وحكمته يصرفه عليها أطوارًا، وينقله من حال إلى حال، إلى أن تمَّت خلقته، وكملت صورته، فأخرجه إنسانًا سويًّا، سميعًا بصيرًا، ثم لما تكامل تمييزه وإدراكه هداه طريقي الخير والشر، والهدى والضلال، وأنه بعد هذه الهداية إمَّا أن يشكر ربه، وإمَّا أن يكفره، ثم ذكر مآل أهل الشكر والكفر، وما أعدَّ لهؤلاء وهؤلاء، وبدأ أوَّلًا بذكر عاقبة أهل الكفر، ثم عاقبة أهل الشكر، وفي آخر السورة ذكر أوَّلًا أهل الرحمة، ثم أهل العذاب، فبدأت السورة بأول أحوال الإنسان؛ وهي النطفة، وختمت بآخر أحواله؛ وهي كونه من أهل الرحمة، أو العذاب، ووسطتها بأعمال الفريقين، فذكرت أعمال أهل العذاب مجملة، وأعمال أهل الرحمة مفصلةً، وجزاءهم مفصلًا، وذكرت أقسام بني آدم كلهم، فإنهم إمَّا أهل شمال؛ وهم الكفار، أو أهل يمين؛ وهم نوعان: أبرار، ومقربون. وذكرت أن شراب الأبرار يُمزَج بشراب عباده المقرّبين؛ لأنهم مزجوا أعمالهم، ويشربه المقرَّبون صِرفًا خالصًا كما أخلصوا أعمالهم، وجُعِل شراب

(٤٥) انظر: «النكت والعيون» (٦/ ١٦١). «معالم التنزيل» (٤/ ٤٢٦). «زاد المسير» (٨/ ١٤١). «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ١١٦). «البرهان في تناسب سور القرآن» (ص٣٥٢ – ٣٥٣). «البحر المحيط» (١٠/ ٣٥٨). «نظم الدرر» (٢١/ ١٢٠– ١٢٤). «أسرار ترتيب القرآن» (ص١٥٠). «التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم» (٨/ ٥٠٩– ٥١٠).

(٤٦) انظر: «نظم الدرر» (٢١/ ١٦٤– ١٦٥). «البرهان في تناسب سور القرآن» (ص٣٥٣– ١٥٤).

المقرَّبين من الكافور الذي فيه من التبريد والقوّة ما يناسب برد اليقين وقوّته لما حصل لقلوبهم، ووصل إليها في الدنيا مع ما في ذلك من مقابلته للسعير، وأخبر – سبحانه – أن لهم شرابًا آخر ممزوجًا من الزنجبيل؛ لما فيه من طيب الرائحة، ولذة الطعم والحرارة التي توجب تغيّر برد الكافور، وتطهير الأجواف؛ ولهذا وصفه بكونه شرابًا طهورًا؛ أي: مطهّرًا لبطونهم، فوصفهم بجمال الظاهر والباطن كما قال: ﴿وَلَقَّىٰهُمۡ نَضۡرَةٗ وَسُرُورٗا﴾؛ فالنضرة جمال وجوههم، والسرور جمال قلوبهم، ثم أخبر عنهم بأنهم يخافون اليوم العسير القمطرير؛ وهو يوم القيامة. ففي ضمن هذا الخوف إيمانهم باليوم الآخر، وكفّهم عن المعاصي التي تضرهم في ذلك اليوم، وقيامهم بالطاعات التي يضرهم تركها في ذلك اليوم.

ثم أخبر – سبحانه – عنهم بإطعام الطعام على محبتهم له، وذلك يدلّ على نفاسته عندهم، وحاجتهم إليه، وما كان كذلك فالنفوس به أشحّ، والقلوب به أعلق، واليد له أمسك، فإذا بذلوه في هذه الحال فهم لما سواه من حقوق العباد أبذل. فذكر من حقوق العباد بذل قوت النفس على نفاسته وشدة الحاجة منبهًا على الوفاء بما دونه، كما ذكر من حقوق الله الوفاء بالنذر منبهًا على الوفاء بما هو فوقه، وأوجب منه. ونبَّه بقوله: ﴿عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ أنه لولا أن الله – سبحانه – أحبُّ إليهم منه لَمَا آثروه على ما يحبّونه، فآثروا المحبوب الأعلى على الأدنى.

ثم أخبر – جلَّ شأنه – عنهم أنهم إنما فعلوا ذلك لوجه الله، وأنهم لا يريدون ممن أطعموه عوضًا من أموالهم، ولا ثناء عليهم بألسنتهم، كما يريده من لا إخلاص له بإحسانه إلى الناس من معاوضتهم، أو الشكور منهم، فتضمَّن ذلك المحبة، والإخلاص، والإحسان.

ثم أخبر – تعالى– عنهم بما صدقهم عليه قبل أن يقولوه، حيث قالوا: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوۡمًا عَبُوسٗا قَمۡطَرِيرٗا﴾، فصدقهم قبل قولهم إذ يقول – تعالى – : ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا﴾.

ثم أخبر – سبحانه – بأنه وقاهم شرّ ما يخافونه، ولقَّاهم فوق ما كانوا يأملونه، وذكر – تعالى – أصناف النعيم الذي حيَّاهم به من المساكن، والملابس، والمجالس، والثمار، والشراب، والخدم، والنعيم، والملك الكبير.

ولما كان في الصبر من حبس النفس والخشونة التي تلحق الظاهر والباطن من التعب والنصب والحرارة ما فيه؛ كان الجزاء عليه بالجنَّة التي فيها السعة، والحرير الذي فيه اللِّين والنعومة، والاتكاء الذي يتضمَّن الراحة،

والظلال المنافية للحرّ، ثم ذكر – تعالى – لون ملابس الأبرار، وأنها ثياب سندس خضر، وإستبرق، وحليتهم أساور من فضَّة، فهذه زينة ظواهرهم، ثم ذكر زينة بواطنهم؛ وهو الشراب الطهور، وهو بمعنى: التطهير.

ثم ذكَّر – سبحانه – نبيه ﷺ بما أنعم عليه من تنزيل القرآن عليه، وأمره بأن يصبر لحكمه، وهو يعمّ الحكم الديني والكوني، وفرض عليه الصبر على كل واحد من الحكمين، ولما كان صبره عليه لا يتمّ إلا بمخالفته لمن دعاه إلى خلافه من كل آثم أو كفور نهاه عن طاعة هذا وهذا، وأتى بحرف ﴿أَوْ﴾ دون الواو ليدلَّ على أنه منهي عن طاعة أيّهما كان؛ إمَّا هذا، وإمَّا هذا، فكأنه قيل له: لا تطع أحدهما، وهو أعمّ في النهي من كونه منهيًّا عن طاعتهما. ولما كان لا سبيل إلى الصبر إلا بتعويض القلب بشيء هو أحبُّ إليه من فوات ما يصبر على فوته أمره بأن يذكر ربه بكرةً وأصيلًا، فإن ذكره أعظم العون على تحمّل مشاقّ الصبر، وأن يصبر لربه بالليل، فيكون قيامه بالليل عونًا على ما هو بصدده بالنهار، ثم أخبر – سبحانه – عمَّا يمنع العبد من إيثار ما فيه سعادته في الدنيا والآخرة، وهو حبّ العاجلة، وإيثارها على الآخرة تقديمًا لداعي الحسّ على داعي العقل، ثم ذكر خلقهم، وإحكامه، وإتقانه بما شدَّ من أسرهم؛ وهو ائتلاف الأعضاء، والمفاصل، والأوصال، وما بينها من الرباطات، وشدّ بعضها ببعض، وحقيقته القوّة، ولا يكون ذلك إلا فيما له شدّ، ورباط، ثم أخبر – تعالى– أنه قادر على أن يبدل أمثالهم بعد موتهم، وأنه إذا شاء ذلك فعله، فهذا التبديل واقع لا محالة.

ثم ختم السورة بالشرع والقدر، فقال – سبحانه–: ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾ فهذا شرعه، ومحلّ أمره، ونهيه، ثم قال– تعالى–: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ فهذا قضاؤه، وقدره، ثم ذكر الاسمين الموجبين للتخصيص، وهما: اسم العليم والحكيم، فأخبر أن مشيئتهم موقوفة على مشيئته، ومع هذا فلا يوجب ذلك حصول الفعل منهم؛ إذ أكثر ما فيه أنه جعلهم شائين، ولا يقع الفعل إلا حين يشاؤه منهم، ومع هذا فلا يقع الفعل منهم حتى يريد من نفسه إعانتهم، وتوفيقهم، فهنا أربع إرادات: إرادة البيان، وإرادة المشيئة، وإرادة الفعل، وإرادة الإعانة. والله أعلم[٤٧].

(٤٧) انظر: «جامع البيان» (٢٣/ ٥٢٩) وما بعدها. «جامع الرسائل» لابن تيمية (١/ ٦٩ – ٧٧). «دقائق التفسير» (٣/ ٢١ – ٢٨). «تيسير الكريم الرحمن» (ص٩٠٠– ٩٠٣). «أضواء البيان» (٨/ ٣٧٨).

المبحث الثاني

تطبيق القواعد التفسيرية في سورة الإنسان

[وفيه خمسة عشر مطلبًا]:

المطلب الأول/ حمل تفسير الآية على معاني سياقها أولى من الخروج به عنه[٤٨]:

هذه قاعدة مهمَّة في باب فهم القرآن الكريم على الوجه الصحيح، حيث تبيّن أنه لا محيص للمتفهّم عن ردّ آخر الكلام على أوّله، وأوّله على آخره؛ ما لم يمنع منه دليل صحيح صريح، وإذ ذاك يحصل مقصود الشارع في فهم المكلَّف، فإن فرّق النظر في أجزائه فلا يتوصَّل به إلى مراده، فلا يصحّ الاقتصار في النظر على بعض أجزاء الكلام دون بعض[٤٩].

ودلالة السياق متفق عليها عند العلماء في مجاري كلام الله تعالى، ومن أراد الوصول إلى فهم آية، أو لفظة قرآنية فهمًا سليمًا؛ فعليه تدبّر ما قبلهما، وما بعدهما، فحينئذ يتبيَّن المراد، ويتضح له المقصود؛ لأن القرآن يفسِّر بعضه بعضًا، وأنه كالسورة الواحدة، والقول الذي يدلّ عليه سياق الآية أولى من غيره ما لم توجد حجة يجب إعمالها[٥٠].

قال مسلم بن يسار: «إذا حدثت عن الله فقف حتى تنظر ما قبله وما بعده»[٥١].

وقال الطبري معتمدًا في الترجيح على هذه القاعدة: «وإنما قلنا ذلك أولى الأقوال في هذه الآية[٥٢] بالصواب؛

---

(٤٨) انظر: «جامع البيان» (٣/ ٤٠٠). «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (١٥- ٩٤). «الموافقات» للشاطبي (٤/ ٢٦٦- ٢٦٧). «البحر المحيط في أصول الفقه للزركشي» (٦/ ٥٢).

(٤٩) انظر: «الموافقات» للشاطبي (٤/ ٢٦٦).

(٥٠) انظر: «مجموع الفتاوى لابن تيمية» (١٥- ٩٤). «البحر المحيط في أصول الفقه للزركشي» (٦/ ٥٢).

(٥١) رواه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص٣٧٧). ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٧/ ٢٣١، رقمه:٣٥٥٨٨). أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٢٩٢). الهروي في «ذم الكلام وأهله» (٥/ ٣٤، رقمه:٨١٥). انظر:«مجموع الفتاوى لابن تيمية»(١٣/ ٣٧٤). «تفسير ابن كثير» (١/ ١٣).

(٥٢) وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا لَّن تُقۡبَلَ تَوۡبَتُهُمۡ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ٩٠﴾[آل عِمۡرَان:٩٠].

لأن الآيات قبلها وبعدها فيهم نزلت، فأولى أن تكون هي في معنى ما قبلها وبعدها، إذا كانت في سياق واحد»(٥٣).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فمن تدبّر القرآن، وتدبّر ما قبل الآية، وما بعدها، وعرف مقصود القرآن؛ تبيَّن له المراد، وعرف الهدى والرسالة، وعرف السداد من الانحراف والاعوجاج»(٥٤).

من تطبيقات هذه القاعدة في السورة ما ذكره المفسرون في المراد بالإنسان المذكور في قوله تعالى: ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا﴾، حيث ورد عنهم في ذلك قولان مشهوران:

١- هو الإنسان الأول آدم عليه السلام، أتى عليه حين من الدهر، لم يكن شيئًا يُذكر - قيل: أربعون سنة - أي: لا يُعرف، ولا يُدرى ما اسمه، ولا ما يراد به. وذُكِر عن ابن عباس: كان طينًا، ثم صلصالًا، حتى نفخ فيه الروح. وهو قول قتادة، ولم يذكر الطبري غيره(٥٥).

وذكر السمعاني أنه قول أكثر المفسّرين، ونسبه ابن الجوزي إلى الجمهور(٥٦).

٢ - هو عموم الإنسان. قاله سفيان، والسّدّي، وعكرمة، ومقاتل، وغيرهم. فعلى هذا يكون الإنسان اسم جنس، ويكون (الحين) زمان كونه أربعين يومًا نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، وكل ذلك شيء، ولكنه لم يكن مذكورًا(٥٧).

وهذا القول يترجَّح بهذه القاعدة -والعلم عند الله تعالى-، ويكون المراد بالإنسان في الآية الأولى جنس بني آدم، ويشهد بصحته سياق الكلام، وتدل عليه الآية التي بعده؛ لأن المفسرين قد اتفقوا على أن المراد بلفظ: ﴿ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ في قوله: ﴿إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ﴾ هو عام في بني آدم؛ لأنه هو الذي خُلِق

(٥٣) «جامع البيان» (٥/ ٥٦٧ - ٥٦٨).

(٥٤) «مجموع الفتاوى» (١٥- ٩٤).

(٥٥) انظر: «تفسير مقاتل بن سليمان» (٤/ ٥٢١). «تفسير عبد الرزاق» (٣/ ٣٧٣). «جامع البيان» (٢٣/ ٥٢٩- ٥٣٠). «معاني القرآن للزجاج» (٥/ ٢٥٧). «بحر العلوم» (٣/ ٥٢٥). «الهداية إلى بلوغ النهاية» (١٢/ ٧٩٠٢). «الكشف والبيان» (٢٨/ ١٩١). «الوجيز للواحدي» (ص١٢٥٧). «أنوار التنزيل» (٥/ ٢٦٩). «البحر المحيط» (١٠/ ٣٥٨).

(٥٦) انظر: «تفسير السمعاني» (٦/ ١١٢). «زاد المسير» (٤/ ٣٧٤).

(٥٧) انظر: «معاني القرآن للزجاج»(٥/ ٢٥٧). «الهداية لمكي» (١٢/ ٧٩٠٣). «الوجيز للواحدي»(ص١٢٥٧). «زاد المسير»(٤/ ٣٧٤). «معالم التنزيل» (٨/ ٢٨٩). «أنوار التنزيل»(٥/ ٢٦٩). «البحر المحيط»(١٠/ ٣٥٨). «التحرير والتنوير»(٢٩/ ٣٧٢)

من نطفة أمشاج أخلاط، وكذلك ينبغي أن يكون معنى ﴿ٱلۡإِنسَٰنِ﴾ في الآية الأولى: ﴿هَلۡ أَتَىٰ ٱلۡإِنسَٰنِ﴾، ويكون لفظ الإنسان في الموضعين بمعنى واحد، وهو المعنى العام؛ وبذلك يستقيم الأسلوب بدون مغايرة بين اللفظين إذ لا قرينة مميزة. بل قال بعض العلماء إن في السياق قرينةً تدل على هذا، وهي أن قوله تعالى: ﴿نَّبۡتَلِيهِ﴾ قطعًا لبني آدم؛ لأن آدم –عليه السلام– انتهى أمره بالسمع، والطاعة: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾[البَقَرَة: ٣٧]، ولم يبق مجال لابتلائه، إنما ذلك لبنيه(٥٨). وهذا ما رجَّحه عدد من المفسرين، وتؤيده قاعدة: «يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص»(٥٩). والعام في الاصطلاح هو: «كلام مستغرق لجميع ما يصلح له»(٦٠).

قال الزمخشري: «والمراد بالإنسان: جنس بنى آدم، بدليل قوله: ﴿إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ﴾»(٦١).

وقال الطِّيبي معلِّقًا على كلام الزمخشري: «يعني: تقرَّر أن الاسم المعرَّف باللَّام، إذا أعيد كان الثاني عين الأول، فحين أعيد ﴿ٱلۡإِنسَٰنِ﴾ وبيّن بأن المراد بالإنسان الجنس؛ لقوله: ﴿إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ﴾، علم أن السابق كذلك. وإنما أراد بذلك الردَّ على من ذهب إلى أن المراد بالإنسان آدم عليه السلام، كالواحدي، وغيره. ولعل نظرهم إلى قوله: ﴿مِن نُّطۡفَةٍ﴾؛ فإن آدم لم يُخلَق منها. والجواب أنه من باب التغليب...، وعليه النظم؛ فإن ﴿ٱلۡإِنسَٰنِ﴾ الثاني مُظهر وُضِع موضع المضمر لإفادة الترقي، أي: كان الشيء المنسي الذي لا يُلتفت إليه، ولا يُذكر، فإنا قلبناه في الأطوار المتباينة، والأحوال المتخالفة، وجعلناه مما يُذكر فيه ويُعتبر»(٦٢).

وقال ابن عطية: «والقوي في هذا أن ﴿ٱلۡإِنسَٰنِ﴾ اسم جنس، وأن الآية جعلت عبرة لكل أحد من الناس؛ ليعلم أن الصانع له قادر على إعادته. وقوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ هو هنا اسم الجنس بلا خلاف. لأن

(٥٨) قاله عطية سالم، في «تكملة أضواء البيان» (٨/ ٣٧٨).
(٥٩) انظر: «قواعد الترجيح» (٢/ ٥٢٧).
(٦٠) «قواطع الأدلة في الأصول» (١/ ١٥٤).
(٦١) «الكشاف» (٤/ ٦٦٥).
(٦٢) «حاشية الطيبي على الكشاف» (١٦/ ١٨٠).

آدم لم يخلق مِن نُطفةٍ، وأمشاجٍ»(٦٣).

وقال الرازي: «اختلفوا في الإنسان المذكور هاهنا، فقال جماعة من المفسرين: يريد آدم عليه السلام، ومن ذهب إلى هذا قال: إن الله تعالى ذكر خلق آدم في هذه الآية، ثم عقّب بذكر ولده في قوله: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ﴾.

والقول الثاني: أن المراد بالإنسان بنو آدم، بدليل قوله: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ﴾، فالإنسان في الموضعين واحد، وعلى هذا التقدير يكون نظم الآية أحسن»(٦٤).

وقال ابن جزي: «و﴿ٱلْإِنسَٰنِ﴾ هنا جنس، والحين الذي أتى عليه حين كان معدومًا قبل أن يُخلق.

وقيل: ﴿ٱلْإِنسَٰنِ﴾ هنا آدم، والحين الذي أتى عليه حين كان طينًا قبل أن يُنفخ فيه الروح.

وهذا ضعيف لوجهين: أحدهما: قوله: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ﴾، وهو هنا جنسها باتفاق؛ إذ لا يصح هنا في آدم. والآخر: أن مقصد الآية تحقير الإنسان»(٦٥).

المطلب الثاني/ لا يجوز العدول عن تفسير السلف، وفهمهم للآية(٦٦):

هذه قاعدة تفسيرية يُرَدّ بها على أهل البدع ممن خالفوا تفاسير السلف من الصحابة والتابعين، فحملوا القرآن على معانٍ اعتقدوها، ثم حملوا الآية عليها، وليس لهم سلف في تفسيرهم، ونعني بالسلف: الصحابة الكرام رضي الله عنهم، وأعيان التابعين لهم بإحسان، وأتباعهم، وأئمة الدين المشهود لهم بالإمامة، وعُرِف عظم شأنهم في الدين، وتلقّى الناس كلامهم خلفًا عن سلف دون رمي ببدعة، أو اشتهار بلقب غير مرضي، كالخوارج، والروافض، والمعتزلة، وأمثالهم(٦٧).

---

(٦٣) «المحرر الوجيز» (٥/ ٤٠٨).

(٦٤) «التفسير الكبير» (٣٠/ ٧٣٩). انظر: «روح المعاني» (١٥/ ١٦٧).

(٦٥) «التسهيل لعلوم التنزيل» (٢/ ٤٣٦).

(٦٦) انظر: «مقدمة في أصول التفسير» (ص٤٠) وما بعدها. «مجموع الفتاوى» كلاهما لابن تيمية (١٣/ ٢٤٣، ٣٦١-٣٦٢). «الموافقات» (٣/ ٢٨٩).

(٦٧) انظر: «قواعد التفسير» لخالد السبت (١/ ٢٠٦ - ٢٠٧). «قواعد الترجيح» (١/ ٢٧١).

من تطبيقات هذه القاعدة في السورة: ما يُردّ بها على من زعم من الصوفية أن الاستفهام في قوله: ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ﴾ إنكاري، فهو في معنى النفي، أي: ما أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئًا مذكورًا(٦٨). كما قال القشيري: «لم يأت عليه وقت إلا كان مذكورًا إليّ. ويقال: هل غفلت ساعة عن حفظك؟ هل ألقيت لحظةً حبلك على غاربك؟ هل أخليتك ساعة من رعاية جديدة، وحماية مزيدة؟!»(٦٩).

وهذا القول مردود لمخالفته فهمَ أجلَّةٍ من الصحابة، ومن يُعتدّ بهم من المفسرين، وأهل المعاني(٧٠) من أن الاستفهام هنا تقريري بمعنى: (قد) «كقوله تعالى: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ﴾[الغَاشِيَة:١]، وقوله: ﴿وَهَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾[طه:٩]، وقوله: ﴿وَهَلۡ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ إِذۡ تَسَوَّرُواْ ٱلۡمِحۡرَابَ﴾[ص:٢١]، وقوله: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ﴾[الذَّارِيَات:٢٤]. هذا كله عندهم بمعنى: (قد)؛ لأن «هل» قَدْ تكون جحدًا، وتكون خبرًا. فهذا من الخبر؛ لأنك قد تقول: فهل وعظتك؟ فهل أعطيتك؟ تقرّره بأنك قَدْ أعطيته، ووعظته. والجحد أن تقول: وهل يقدر واحد على مثل هذا؟(٧١).

والصواب أن ﴿هَلۡ﴾ بمعنى: (قد)، والاستفهام تقريري، وهو من أقسام الخطاب، وهو هنا موجَّه إلى غير معيّن، ومستعمل في تحقيق الأمر المقرَّر به على طريق الكناية؛ لأن الاستفهام طلب الفهم، والتقرير يقتضي حصول العلم بما قرّر به، وذلك إيماء إلى استحقاق الله أن يعترف الإنسان له بالواحدانية في الربوبية إبطالًا لإشراك المشركين(٧٢).

ويحقِّق كونَ الاستفهامِ ليس على بابه قولُ أبي بكر ﷺ أنه قال لما سمع الآية: «ليت المدَّة التي أتت على آدم

---

(٦٨) انظر: «روح المعاني» (١٥/ ١٦٨).

(٦٩) «لطائف الإشارات» (٣/ ٦٦٠). انظر: «نظم الدرر» (٢١/ ١٢١).

(٧٠) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢١٣). «مجاز القرآن» (٢/ ٢٧٩). « «معاني القرآن وإعرابه» للزجاج (٥/ ٢٥٧).

(٧١) انظر: «تفسير مقاتل بن سليمان» (٤/ ٥٢١). «تأويل مشكل القرآن» (ص٢٨٨). «جامع البيان» (٢٣/ ٥٢٩). «الكشف والبيان» (٢٨/ ١٩١). «الهداية» لمكي (١٢/ ٧٩٠١). «النكت والعيون» (٦/ ١٦١). «التفسير البسيط» (١٤/ ٣٦٢).

(٧٢) انظر: «التحرير والتنوير» (٢٩/ ٣٧١).

ولم يكن شيئًا مذكورًا تمَّت على ذلك، وكان لا يلد، ولا يُبتلى أولاده»(٧٣). وروي هذا أيضًا عن عمر(٧٤)، وابن مسعود، رضي الله عنهما(٧٥).

ووجه الاستدلال أن ﴿هَلۡ﴾ لو كان استفهامًا ما قال من قال: ليت ذلك تم؛ لأن الاستفهام إنما يجاب بـ(لا)، أو (نعم)، وهذا الكلام، إنما يحسن إذا كان المراد بـ﴿هَلۡ﴾ الخبر، لا الاستفهام(٧٦).

قال الطبري: «يعني: - جلَّ ثناؤه - بقوله: ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ﴾ قد أتى على الإنسان؛ وهل في هذا الموضع خبر لا جحد، وذلك كقول القائل لآخَر يقرّره: هل أكرمتك؟ وقد أكرمه؛ أو هل زرتك؟ وقد زاره؛ وقد تكون جحدًا في غير هذا الموضع، وذلك كقول القائل لآخَر: هل يفعل مثل هذا أحد؟ بمعنى: أنه لا يفعل ذلك أحد»(٧٧).

وقال الألوسي: «ورأيت لبعض المتصوِّفة أن ﴿هَلۡ﴾ للاستفهام الإنكاري، فهو في معنى النفي، أي: ما أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئًا مذكورًا. وظاهره القول بقِدم الإنسان في الزمان على معنى أنه لم يكن زمان إلّا وفيه إنسان، وهو القِدم النوعي كما قال به من قال من الفلاسفة، وهو كفر بالإجماع، ووجِّه بأنهم عنوا شيئية الثبوت لقِدم الإنسان عندهم بذلك الاعتبار دون شيئية الوجود ضرورة أنه بالنسبة إليها حادث زمانًا...» -

(٧٣) «التفسير البسيط» (٢٣/ ٧). ومعنى قوله: (ليتها تمت) أي: ليته بقي على ما كان عليه، فكان لا يلد، ولا يبتلى بأولاده. انظر: «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ١٢٠). «اللباب في علوم الكتاب» (٢٠/ ٦).

(٧٤) أخرجه ابن المبارك في «الزهد والرقائق» (١/ ٧٩، رقمه: ٢٣٥). وأبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص١٥٠). وعبد بن حميد، وابن المنذر كما في «الدر المنثور» (٨/ ٣٦٦). والمستغفري في «فضائل القرآن» (١/ ١٧٤،ح ٧٦). انظر: «الكشف والبيان» (٢٨/ ١٩٢). «التفسير البسيط» (٢٣/ ٧). «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ١٢٠). «اللباب في علوم الكتاب» (٢٠/ ٦).

(٧٥) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٧/ح ٣٤٥٥٦». عبد بن حميد وابن المنذر كما في «الدر المنثور» (٨/ ٣٦٦). والمستغفري في «فضائل القرآن» (١/ ١٧٥، رقمه: ٧٧). انظر: الكشف والبيان» (٢٨/ ١٩٢). «التفسير البسيط» (٢٣/ ٧).

(٧٦) انظر: «التفسير البسيط» (٢٣/ ٦- ٧).

(٧٧) «جامع البيان» (٢٣/ ٥٢٩).

إلى أن قال – «والكلام في هذا المقام طويل، ولا يسعنا أن نطيل، بيد أنّا نقول: كون ﴿هَلۡ﴾ هنا للإنكار منكر، وأن دعوى صحة ذلك لإحدى الكبر، والذي فهمه أجلّة من الصحابة – رضي الله تعالى عنهم – من الآية الإخبار الإيجابي...»(٧٨).

وقال عطية سالم: «اتفق المفسرون على أن ﴿هَلۡ﴾ هنا بمعنى: قد، أي: أن الاستفهام تقريري يستوجب الإجابة عليه بنعم»(٧٩).

المطلب الثالث: إذا تبيَّن بالدليل أن ظاهر القرآن غير مراد فيجب تأويله(٨٠):

هذه قاعدة مهمة تفيد أنه وإن كان الحمل على الظاهر واجبًا بالإجماع واتفاق العلماء(٨١) إلا أن هذا مقيَّد بعدم وجود دليل معتبر يصرفه عن ظاهره، ويدل على تخصيصه، أو تأويله، أو نسخه...(٨٢)، وإن دلَّ الدليل على أن الظاهر غير مراد من النصِّ وجب حينئذ تأويل الظاهر، والأخذ بالمحتمل المرجوح في نفسه؛ لأنه يصير حينئذ راجحًا للدليل، وهذا ما يسمَّى بالتأويل الصحيح(٨٣)، وهو ممدوح، وعليه جرى عمل السلف والخلف بالاتفاق،

(٧٨) «روح المعاني» (١٥/ ١٦٨).

(٧٩) «تكملة أضواء البيان» (٨/ ٣٧٨ – ٣٧٩).

(٨٠) انظر: «تفسير ابن عثيمين – لقمان» (ص٦٣– ٦٤). «تفسير ابن عثيمين: الفاتحة – والبقرة» (١/ ٢٦).

(٨١) دليل الإجماع أنك لن تجد آيةً من القرآن فسَّرها سلفنا الصالحون ومن سار على نهجهم من العلماء على غير ظاهرها الذي يقتضيه سياق النصِّ، والقرائن التي تحفُّ به إلا بدليل واضح يدل على أن الظاهر غير مراد. انظر هذه المسألة بالتفصيل في المراجع التالية: «ذم التأويل» لابن قدامة (ص٤٠). «أنوار البروق» للقرافي (١٩٥/٢). «إعلام الموقعين» (٦/ ١٨٧– ١٨٨). «إرشاد الفحول» للشوكاني (٢/ ٣٢)، «أضواء البيان» (٧/ ٢٦٩). «تفسير ابن عثيمين: الفاتحة والبقرة» (١/ ٢٦، ٣/ ٣٨٠). «القواعد المثلى» لابن عثيمين (ص٤١).

(٨٢) انظر: التفسير الكبير(٣٠/ ٩٤). إرشاد الفحول (٣٢/٢). أضواء البيان (٧/ ٢٦٩). «دراسات أصولية في القرآن» (ص٢٦٤).

(٨٣) انظر: مذكرة أصول الفقه (ص٢٧٥).

ولا يستغني عنه أحد.

ومثاله: تأويل قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ﴾[المَائِـدَة:٣]، فإنه يدل على تحريم اللحم، والجلد، وهو مؤوَّل بتحريم اللحم دون الجلد؛ لقوله ﷺ: ((إِذَا دُبِغَ الْإِهَابُ فَقَدْ طَهُرَ))(٨٤). والدليل الصـــارف عن الظاهر هنا السَّمع، وقد يكون الدَّليل عقليًّا ظاهرًا، أو حسيًّا(٨٥).

قال الطبري: «وإذا تُنوزِع في تأويل الكلام كان أولى معانيه به أغلبه على الظاهر، إلا أن يكون من العقل - أو الخبر - دليل واضح على أنه معنيّ به غير ذلك»(٨٦).

وقال ابن عثيمين: «واعلم أننا نحن لا ننكر التأويل، فقد نؤوّل، لكن إذ دلَّ الدليل على التأويل فلا بأس، فنقول في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْـتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾[النَّحل: ٩٨] نقول: إذا أردت أن تقرأ(٨٧). وظاهر الآية: إذا فرغت من القراءة فاســتعذ، والســنة بينت هذا، فنحن لا ننكر التأويل؛ لأن التأويل الذي دل عليه اللفظ تفسير، إنما ننكر التأويل الذي هو التحريف، وهو التأويل بدون دليل»(٨٨).

وقال أيضًا: «الواجب على المؤمن أن يأخذ بظاهر القرآن والسنة، فإن هذا الواجب في الأمور الغيبية، وفي الأمور التي لا يمكن إدراكها حسًّا، ثم إذا تبيَّن له بعد ذلك بالحسِّ أن ظاهر القرآن غير مراد، فإننا يجب علينا أن

---

(٨٤) رواه مسلم في كتاب الطهارة، باب إذا دُبغ الإهاب فقد طهر (ح٣٦٦).

(٨٥) مثال الدليل العقلي الذي يعلم المراد به كل أحد عاقل قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾[الزُّمَر:٦٢]. ومثال التخصيص بالحس قوله: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾[النَّمل:٢٣] أي: أوتيت من جنس ما يؤتاه مثلها. انظر: «محاسن التأويل» (٥/ ٨١). «تفسير ابن عثيمين- لقمان» (ص٦٣- ٦٤). ومثال الدليل السمعيّ هو صرف بعض الآيات بظواهر أخرى. انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٦/ ٢١).

(٨٦) جامع البيان (٩/ ٦٧٨).

(٨٧) قال ابن جني في «المحتسب» (١/ ١٣٥): «أي: إذا أردت قراءته، فاكتفى بالمسبب الذي هو القيام، والقراءة من السبب الذي هو الإرادة».

(٨٨) «تفسير ابن عثيمين - الشورى» (ص١١٢).

نؤول ظاهر القرآن؛ لأنه لا يمكن أن يتعارض القرآن مع الواقع، فمستحيل هذا، ولو أننا جوَّزنا ذلك عقلًا لَلَزِم أن يكون في القرآن ما هو كذب؛ لأن الكذب هو خلاف الواقع، وهذا أمر مستحيل»(٨٩).

من تطبيقات هذه القاعدة ما زعم بعضهم أن الاستفهام في قوله: ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا﴾ على بابه، وظاهره، كما تقول: هل بقيت في أمرك؟(٩٠).

قال القصّاب: «يذهب ناس إلى أن ﴿هَلۡ﴾ بمعنى: قد ﴿أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ﴾، وليس هو عندي كذلك، بل هو – والله أعلم – على ظاهره، إذ محال أن يأتي الحين على الشيء العدم، إنما يأتي الحين على الشيء الموجود، فكأنه قال – والله أعلم – : ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ﴾ منذ خلق فصار إنسانًا حين من الدهر لم يذكر في جملة المخلوقين، أو لم يذكر بخير، أو بشرّ، أو بتهديد، أو بتبشير، أو بتعديد النعم عليه، أو بتخويف مما وراءه من أهوال القيامة، والنار، وما أشبه ذلك، ولا أدري كيف اضطر من جعله بمعنى: قد، فخرج عن العرف مع بيانه، ووضوحه، وقلة تشابهه»(٩١).

والصَّحيح ما دلَّ الدليل عليه من أن الاستفهام هنا تقريريٌّ، ومعناه: قد أتى على الإنسان، وهذا ما ذهب إليه المفسرون من السلف، والخلف، كما سبق في شرح القاعدة السابقة، ونقل بعضهم اتفاق المفسرين عليه(٩٢)، ويكون الاستفهام هنا موجَّه إلى غير معيَّن، ومستعمل في تحقيق الأمر المقرَّر به على طريق الكناية(٩٣).

والدليل على أن ﴿هَلۡ﴾ هنا للتقرير ما قاله أبو بكر، وعمر، وابن مسعود، – رضي الله عنهم – بعد سماعهم للآية: «ليت المدة التي أتت على آدم ولم يكن شيئًا مذكورًا تمّت على ذلك، وكان لا يلد، ولا يُبتلى أولاده»(٩٤)؛

(٨٩) «تفسير ابن عثيمين – لقمان» (ص٦٣– ٦٤).

(٩٠) قاله ابن كيسان. انظر: «النكت والعيون» (٦/ ١٦١). «الهداية إلى بلوغ النهاية» (١٢/ ٧٩٠٢).

(٩١) انظر: «النكت الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام» (٤/ ٤٥٦ – ٤٥٧).

(٩٢) انظر: «تكملة أضواء البيان» (٨/ ٣٧٨).

(٩٣) انظر: «التحرير والتنوير» (٢٩/ ٣٧١).

(٩٤) سبق تخريجه وتوثيقه في المطلب الثاني: لا يجوز العدول عن تفسير السلف... رقم الحواشي (٧٣، ٧٤، ٧٥).

لأن الاستفهام إنما يجاب بـ(لا)، أو (نعم)، وهذا الكلام، إنما يحسن إذا كان المراد بـ﴿هَلۡ﴾ الخبر، لا الاستفهام[٩٥].

قال الواحدي: «﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ﴾ قال ابن عباس[٩٦]، ومقاتل[٩٧]، والمفسرون: قد أتى، وهو قول أهل المعاني أيضًا[٩٨]. كما تقول: هل رأيت صنيع فلان، وقد علمت أنه قد رآه. وقال الفراء[٩٩]: معناه: قد أتى، قال: ﴿هَلۡ﴾ قد تكون جحدًا، وتكون خبرًا، فهذا من الخبر؛ لأنك تقول: هل وعظتك، هل أعطيتك، تقرِّره بأنك قد أعطيته، ووعظته، قال: والجحد أن تقول: وهل يقدر أحد على مثل هذا[١٠٠].

المطلب الرابع/ وجوب الحمل على بقاء الترتيب إلا لدليل[١٠١]:

هذه قاعدة مهمَّة تبيِّن أن القول بالترتيب مقدّم على القول بالتقديم والتأخير؛ لأن الأصل إقرار الكلام على نظمه وترتيبه، لا تغيير ترتيبه، وخاصة إذا استقام المعنى والكلام من غير تغيير النظم، وإذا دار الخلاف في تفسير آية بين مدَّعٍ للتقديم والتأخير، ومبقٍ لها على الترتيب والنظم؛ فأولى القولين بالصواب حينئذ تقديم القول بالترتيب ما دام لا يوجد دليل وقرينة على خلاف ذلك، ودعوى التقديم والتأخير بدون برهان من بدع التفاسير، وخلاف الأصل والبيان، وأمر المخاطب بفهمه قد يكون من باب التكليف لِمَا لا يطاق[١٠٢].

---

(٩٥) انظر: «التفسير البسيط» (٢٣/ ٦- ٧). «تكملة أضواء البيان» (٨/ ٣٧٨).

(٩٦) عزاه إليه ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ٤٠٨).

(٩٧) انظر: «تفسير مقاتل بن سليمان» (٤/ ٥٢١).

(٩٨) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢١٣). «مجاز القرآن» (٢/ ٢٧٩). «تأويل مشكل القرآن» (ص٢٨٨). «غريب القرآن» كلاهما لابن قتيبة (ص٥٠٢). «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٥٧). «بحر العلوم» (٣/ ٥٢٥).

(٩٩) انظر: «معاني القرآن» (٣/ ٢١٣).

(١٠٠) انظر: «التفسير البسيط» (٢٣ / ٥ - ٧). وحكى الرازي الاتفاق على هذا المعنى في «التفسير الكبير» (٣٠/ ٧٣٩). وذكره كثير من المفسرين. انظر: «تفسير القرآن العزيز» لابن أبي زمنين (٥/ ٦٩). «التيسير في التفسير» (١٥/ ١٣٠). «زاد المسير» (٤/ ٣٧٤). «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ١١٨). «بصائر ذوي التمييز» (٥/ ٣٣٥).

(١٠١) «أضواء البيان» (٦/ ١٩٠). «دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب» (ص٢٣١). انظر: «جامع البيان» (٢٤/ ٣١٤). «القطع والائتناف» للنحاس (ص٧٣، ٥١٠). «مجموع الفتاوى» (١٦/ ٢١٨).

(١٠٢) انظر: «جامع البيان» (٢٤/ ٣١٤). «القطع والائتناف» للنحاس (ص٧٣، ٥١٠). «الكشاف» (٢/ ٥٠٦). «التفسير الكبير» (١٢/ ٤٤٥). «مجموع الفتاوى» (١٦/ ٢١٨). «التسهيل لعلوم التنزيل» (١/ ١٩). «البحر المحيط في التفسير»

قال الطبري: «ولا وجه لتقديم شيء من كتاب الله عن موضعه، أو تأخيره عن مكانه، إلا بحجَّة واضحة»(١٠٣).

وقال الزركشي: «ليكن محطّ نظر المفسِّر مراعاة نظم الكلام الذي سيق له؛ وإن خالف أصل الوضع اللغوي لثبوت التجوز»(١٠٤).

نعم قد خرجت عن هذا الأصل آيات اتفق العلماء على أنها من باب التقديم والتأخير، وذلك للضرورة الملجئة، أو لوجود قرينة واضحة، أو أنه يؤدِّي غرضًا بلاغيًّا لا يتحقَّق بدونه، وهي لا تدخل تحت القاعدة بالاتفاق(١٠٥).

من تطبيقات هذه القاعدة في السورة ما قيل في تفسير قوله تعالى: ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا﴾ أنه من باب التقديم والتأخير. قال مقاتل: «في الكلام تقديم وتأخير، وتقديره: هل أتى حين من الدهر لم يكن الإنسان شيئًا مذكورًا؛ لأنه خلقه بعد خلق الحيوان كله، ولم يخلق بعده حيوانًا»(١٠٦).

وجمهور المفسرين فسَّروا الآية على ترتيبها(١٠٧)، وهو الذي يترجَّح بهذه القاعدة؛ لأنه لا توجد قرينة ودليل يوجب القول بالتقديم والتأخير، بل هو خلاف الأصل، ودعوى لا داعي لها مع استقامة المعنى.

ومن تطبيقات هذه القاعدة - أيضًا - ما قاله بعض أهل المعاني من أن ﴿نَّبۡتَلِيهِ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا﴾ مقدَّمة، معناها التأخير. إنما المعنى: خلقناه وجعلناه سميعًا بصيرًا لنبتليه؛ لأنّ الابتلاء لا يقع إلا بعد تمام الخِلْقة(١٠٨).

(٢/ ٦٧٠).

(١٠٣) «جامع البيان» (١٣/ ٣٥١). انظر: «المرجع السابق» (٢٤/ ٣١٤). «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (١٦/ ٢١٨).

(١٠٤) «البرهان في علوم القرآن» (١/ ٣١٧).

(١٠٥) انظر: «مجموع الفتاوى» (١٦/ ٢١٨). «قواعد الترجيح» (٢/ ٤٥١- ٤٥٢).

(١٠٦) نقله عنه الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ١٦٢). القرطبي في «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ١١٩- ١٢٠). انظر: «تفسير مقاتل بن سليمان» (٤/ ٥٢٢ - ٥٢٣).

(١٠٧) انظر: «جامع البيان» (٢٣/ ٥٢٩). «بحر العلوم» (٣/ ٥٢٥). «الكشف والبيان» (٢٨/ ١٩١). «التفسير البسيط» (٢٣/ ٥- ٩). «تفسير السمعاني» (٦/ ١١٢). «معالم التنزيل» (٨/ ٢٨٩). «المحرر الوجيز» (٥/ ٤٠٨).

(١٠٨) انظر: «تفسير مقاتل بن سليمان» (٤/ ٥٢٢ - ٥٢٣). «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢١٤). «جامع البيان» (٢٩/ ٢٠٥). «إعراب القرآن» للنحاس (٥/ ٩٥). «الكشف والبيان» (٢٨/ ١٩٩). «النكت والعيون» (٦/ ١٣٦). «معالم

وهذا القول مرجوح بهذه القاعدة، «وهو من التعسّف»[١٠٩]؛ لأنه لا دليل هنا يوجب ذلك، والمعنى مستقيم بدونه، فضلًا عن أنه خلاف الأصل[١١٠]. قال الطبري بعد أن حكى هذا القول: «ولا وجه عندي لما قال يصحّ، وذلك أن الابتلاء إنما هو بصحّة الآلات، وسلامة العقل من الآفات وإنْ عُدِمَ السَّمع والبصر. وأمَّا إخباره إيّانا أنه جعل لنا أسماعًا وأبصارًا في هذه الآية؛ فتذكير منه لنا بنعمه، وتنبيه على موضع الشكر؛ فأمَّا الابتلاء فبالخلق مع صحّة الفطرة، وسلامة العقل من الآفة، كما قال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[الذَّارِيَات:٥٦]»[١١١].

وقال ابن جزي: «قيل: إن ﴿نَّبْتَلِيهِ﴾ مؤخَّر في المعنى، أي: جعلناه سميعًا بصيرًا لنبتليه. وهذا تكلُّف بعيد»[١١٢].

وقال أبو حيان: «ولا حاجة إلى ادّعاء التقديم والتأخير، والمعنى يصح بخلافه»[١١٣].

المطلب الخامس/ وجوب حمل تفسير الآيات على الظاهر والمعروف من المعاني إلّا أن يقع دليل على غير ذلك[١١٤]:

هذه قاعدة عظيمة توجب حمل تفسير القرآن على أحسن المحامل، وأفصح الوجوه، وعلى المعروف المشهور من لغة العرب، دون الغريب، والشاذّ، والنادر، والضعيف، والمنكر، ولا على ما لم تستعمله العرب من المصطلحات المستحدَثة التي لم تكن زمن نزول الوحي، حتى يأتي دليل صحيح على خلاف ذلك؛ لأن الله خاطب العرب بلغتهم التي كانت في عصر التنزيل، وعلى عرفهم وعادتهم في الخطاب، فجاء القرآن بأفصح الألفاظ، في أحسن نظوم التأليف، مضمّنًا أصحّ المعاني، وإذا تأملته وجدت ألفاظه ومعانيه ونظمه في غاية الشرف والفضيلة، حتى لا ترى

التنزيل» (٨/ ٢٩٢). «زاد المسير» (٤/ ٣٧٤). «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ١٢٢). «أنوار التنزيل» (٥/ ٢٦٩).

(١٠٩) «الكشاف» (٤/ ٦٦٦).

(١١٠) انظر: «جامع البيان» (١٣/ ٣٥١). «القطع والائتناف» (ص٧٧٥). «أضواء البيان» (٤/ ٤٧٠).

(١١١) «جامع البيان» (٢٣/ ٥٣٦).

(١١٢) «التسهيل لعلوم التنزيل» (٢/ ٤٣٦).

(١١٣) «البحر المحيط في التفسير» (١٠/ ٣٥٩).

(١١٤) «إعراب القرآن» للنحاس (٥/ ٨٣). انظر: «الإشارة إلى الإيجاز» (ص: ٢٢٠). «محاسن التأويل» (١/ ١٦٣).

شيئًا من الألفاظ أفصحَ ولا أجزلَ ولا أعذبَ من ألفاظه، ولا ترى نظمًا أحسن تأليفًا وأشدّ تلاؤمًا وتشاكلًا من نظمه[١١٥].

قال الطبري: «وإنما يُوجَّه الكلام إلى الأغلب المعروف في استعمال الناس من معانيه دون الخفيّ، حتَّى يأتي بخلاف ذلك ما يُوجب صرفَه إلى الخفيِّ من معانيه حجةٌ يجب التسليم لها من كتاب، أو خبر عن الرسول ﷺ، أو إجماع من أهل التأويل»[١١٦].

وقال العزّ بن عبد السلام: «القاعدة أن يُحمل القرآن على أصحّ المعاني، وأفصح الأقوال، فلا يُحمل على معنى ضعيف، ولا على لفظ ركيك»[١١٧].

من تطبيقات هذه القاعدة في السورة ما قيل في تفسير قوله: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ﴾ هو: خروجه من الرحم[١١٨].

وهذا التفسير غريب، ومرجوح بهذه القاعدة، والواجب حمل تفسير كتاب الله على الظاهر والمعروف من المعاني.

قال ابن كثير: «وقوله: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ﴾ أي: بيَّناه له، ووضَّحناه، وبصَّرناه به، كقوله: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ [فُصِّلَت:١٧]، وكقوله: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾[البَلَد:١٠]، أي: بيَّنَّا له طريق الخير، وطريق الشر.

وهذا قول عكرمة، وعطيّة، وابن زيد، ومجاهد في المشهور عنه، والجمهور.

وروي عن مجاهد، وأبي صالح، والضَّحَّاك، والسُّدِّي؛ أنهم قالوا في قوله: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ﴾ يعني: خروجه من الرَّحِم. وهذا قول غريب، والصَّحيح المشهور الأول»[١١٩].

وقال الألوسي: «وعن السُّدِّي أن ﴿ٱلسَّبِيلَ﴾ هنا: سبيل الخروج من الرحم. وليس بشيء أصلًا»[١٢٠].

---

(١١٥) انظر: «إعجاز القرآن» للباقلاني (ص: ١٥). «البرهان في علوم القرآن» (٢/ ١٠٣). «الكليات» (ص: ٥٢٨).

(١١٦) «جامع البيان» (٦/ ٣٣٧).

(١١٧) «الإشارة إلى الإيجاز» (ص: ٢٢٠).

(١١٨) انظر: «النكت والعيون» (٦/ ١٦٤). «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ١٢٢). «تفسير ابن كثير» (٨/ ٢٨٦).

(١١٩) «تفسير ابن كثير» (٨/ ٢٨٦). انظر: «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ١٢٢).

(١٢٠) «روح المعاني» (١٥/ ١٦٩).

المطلب السادس/ زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى غالبًا(١٢١):

معنى هذه القاعدة أن الزيادة الطارئة على اللفظ تدلّ على معنى زائد على ما يدل عليه اللفظ دونها، وسواء في ذلك ما إذا كانت هذه الزيادة حرفًا، أم كانت زيادة في وزن الكلمة، أو تضعيفها؛ لأن الألفاظ أدلة على المعاني، فإذا زيدت في الألفاظ وجب زيادة المعاني ضرورة، ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ﴾[القَمَر:٤٢]، فهو أبلغ من (قادر)؛ لدلالته على أنه قادر، متمكِّن القدرة، لا يُردّ شيء عن اقتضاء قدرته، ويسمَّى هذا قوة اللفظ لقوة المعنى(١٢٢)، إلا أن هذه القاعدة ليست كلِّية مطِّردة، إنما هي أغلبية، لا تتخلف إلا في زيادات معروفة موضوعة لزيادة معنى جديد دون زيادة في أصل معنى المادة، مثل: زيادة ياء التصغير، فقد أفادت معنى زائدًا على أصل المادة، وليس زيادة في معنى المادة. ومن مستثنيات القاعدة نحو: (حذِر) الذي هو من أمثلة المبالغة، وهو أقلّ حروفًا من (حاذر)(١٢٣).

من تطبيقات هذه القاعدة في السورة أن لفظ ﴿مُسْتَطِيرًا﴾ في قوله: ﴿ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾ أبلغ من (طار)؛ لزيادة في مبناها.

قال الألوسي: «﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ﴾ عذابه ﴿مُسْتَطِيرًا﴾: فاشيًا منتشرًا في الأقطار غاية الانتشار؛ من استطار الحريق، والفجر، وهو أبلغ من (طار)؛ لأن زيادة المبنى تدلّ على زيادة المعنى»(١٢٤).

ومن تطبيقات هذه القاعدة في السورة أيضًا: لفظ ﴿سَلْسَبِيلًا﴾ في قوله: ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا﴾، حيث زيدت الباء في تركيبه للمبالغة، فدلَّت على غاية السَّلاسة، يقال: شراب سَلِسٌ، وَسَلْسَالٌ، وَسَلْسَلٌ،

---

(١٢١) «حاشية الشهاب علي تفسير البيضاوي» (٧/ ٣١٢). «البحر المديد في تفسير القرآن المجيد» (١/ ٥٥). «روح المعاني» (٩/ ٢١، ١٥/ ١٦١، ٢٢٩). «محاسن التأويل» (١/ ٢٢٥). «الجواهر الحسان في تفسير القرآن» (١/ ١٠٦). «التحرير والتنوير» (١٩/ ١٢٣). «شرح رياض الصالحين لابن عثيمين» (٦/ ٥٢٩).

(١٢٢) انظر: «البرهان في علوم القرآن» (٣/ ٣٤). «التحرير والتنوير» (١/ ١٧١). «قواعد التفسير» للسبت (١/ ٣٥٦). «قواعد الترجيح المتعلقة بالنص عند ابن عاشور في تفسيره» (ص٨٢٤).

(١٢٣) انظر: «التحرير والتنوير» (١/ ١٧١).

(١٢٤) «روح المعاني» (١٥/ ١٧١).

وَسَلْسَبِيلٌ، أي: عذبة، سهلة المرور في الحلق(١٢٥).

قال الزمخشري: «و﴿سَلْسَبِيلًا﴾ لسلاسة انحدارها في الحلق، وسهولة مساغها، يعنى: أنها في طعم الزنجبيل، وليس فيها لذعه(١٢٦)، ولكن نقيض اللذع؛ وهو: السلاسة. يقال: شراب سَلْسَلٌ، وَسَلْسَالٌ، وَسَلْسَبِيلٌ، وقد زيدت الباء في التركيب حتى صارت الكلمة خماسية، ودلَّت على غاية السلاسة»(١٢٧).

وقال الرازي: «قال الأكثرون: يقال: شراب سَلسلٌ، وسَلسالٌ، وسَلسبيلٌ؛ أي: عذب سهل المساغ، وقد زيدت الباء في التركيب حتى صارت الكلمة خماسية، ودلَّت على غاية السلاسة، قال الزجاج: السلسبيل في اللغة: صفة لما كان في غاية السلاسة»(١٢٨).

وقال ابن جزي: «﴿سَلْسَبِيلًا﴾ معناه: سلسل منقاد الجرية. وقيل: سهل الانحدار في الحلق، يقال: شراب سَلسلٌ، وسَلسالٌ، وسَلسبيلٌ؛ بمعنى واحد. وزيدت الباء في التركيب للمبالغة في سلاسته»(١٢٩).

المطلب السابع/ التفسير الموافق لرسم المصحف أولى من التفسير المخالف له(١٣٠):

هذه قاعدة تفسيرية مهمَّة في التفسير، والترجيح بين الأقوال، تبيِّن ما أجمع عليه الصحابة، والعلماء الأوائل؛ من وجوب اتباع الرسم العثماني، وذلك حينما يكون أحد الأقوال في تفسير مفردة من مفردات الآيات؛ موافقًا للرسم العثماني، ويكون الوجه الآخر مخالفًا له؛ فأولى الأقوال حينئذ بتفسير تلك المفردة ما وافق الرسم العثماني(١٣١).

والرسم العثماني: أوضاع حروف القرآن في المصحف، ورسومه الخطِّية الذي ارتضاه عثمان ﷺ على ملإ من

(١٢٥) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ١٤٢). «التسهيل لعلوم التنزيل» (٢/ ٤٣٩). «عمدة الحفاظ» (٢/ ٢١١).
(١٢٦) اللذع: الإحراق، والحرارة. انظر: «مقاييس اللغة» (٥/ ٢٤٤) (لذع). «لسان العرب» (٨/ ٣١٧) (لذع).
(١٢٧) «الكشاف» (٤/ ٦٧٢). انظر: «إرشاد العقل السليم» (٩/ ٧٤).
(١٢٨) «التفسير الكبير» (٣٠/ ٧٥٢). انظر: «معاني القرآن للزجاج» (٥/ ٢٦١). «الدر المصون» (١٠/ ٦١٢ - ٦١٣).
(١٢٩) «التسهيل لعلوم التنزيل» (٢/ ٤٣٩).
(١٣٠) انظر: «الإتقان» (٢/ ٣٠٨ ، ٣١٧). «قواعد الترجيح» (١/ ١١٠).
(١٣١) انظر: «مناهل العرفان» للزرقاني (١/ ٣٠٠). «قواعد الترجيح» (١/ ١١٠). قسم دراسة «مختصر التبيين لهجاء التنزيل» لابن نجاح؛ لمحقق الكتاب أحمد شرشال (١/ ٢٠٧).

الصحابة في كتابة كلمات القرآن وحروفه(١٣٢).

من تطبيقات هذه القاعدة في السورة ما زعم بعضهم من أن ﴿سَلۡسَبِيلٗا﴾ في قوله: ﴿عَيۡنٗا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلۡسَبِيلٗا﴾ كلمتان، وجملة مستقلّة بنفسها، أراد: سَلْني سبيلًا إليها يا محمد(١٣٣).

وهذا زعم باطل، و«منكر التأويل، ومنحول التفسير»(١٣٤)؛ لأنه وجه تفسيري مخالف للرسم العثماني، ومن الفصل بين المتصل، ولو كانت ﴿سَلۡسَبِيلٗا﴾ كما زعموا لكتبت مفصولة(١٣٥)، وهو مع ما فيه من التحريف يبطله إجماع المصاحف على أنها كلمة واحدة، من السّلاسة، على وزن فَعْلليل، مثل: «دَرْدَبيس» وقيل: فَعْفَليل؛ لأنَّ الفاءَ مكررةٌ(١٣٦)، ونسبة التفسير لعلي ﷺ لا تصحّ، كما قال غير واحد(١٣٧).

قال الطبري بعد أن حكى الأقوال المختلفة في تفسير ﴿سَلۡسَبِيلٗا﴾: «والصواب من القول في ذلك عندي أن قوله: ﴿تُسَمَّىٰ سَلۡسَبِيلٗا﴾ صفة للعين، وُصِفتْ بالسلاسة في الحلق، وفي حال الجري، وانقيادها لأهل الجنة، يصرفونها حيث شاءوا، كما قال مجاهد، وقتادة.

وإنما عنى بقوله: ﴿تُسَمَّىٰ﴾: توصَف. وإنما قلت ذلك أولى بالصواب؛ لإجماع أهل التأويل على أن قوله: ﴿سَلۡسَبِيلٗا﴾ صفة، لا اسم»(١٣٨).

---

(١٣٢) انظر: «الإتقان» (١/ ٣٠٨). «مناهل العرفان» للزرقاني (١/ ٣٠٠).

(١٣٣) انظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص٤). «المفردات في غريب القرآن» (ص٤١٨). «أسرار التكرار في القرآن» للكرماني (ص٢٤٤). «التفسير الكبير» (٣٠/ ٧٥٢). «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٨٩). «تفسير القرآن العظيم» للسخاوي (٢/ ٥٥١).

(١٣٤) قاله ابن قتيبة في «غريب القرآن» (ص٤). يقال: انتحل فلان شعر غيره أو قول غيره إذا ادعاه لنفسه. «مختار الصحاح» (ص٣٠٦) (نحل).

(١٣٥) انظر: «الأصلان في علوم القرآن» (ص٣٠٤).

(١٣٦) انظر: «معاني القرآن للفراء» (٣/ ٢١٧). «معاني القرآن للأخفش» (٢/ ٥٦١). «جامع البيان» (٢٣/ ٥٦٤). «معاني القرآن وإعرابه للزجاج» (٥/ ٢٦١). «الكشف والبيان» (٢٨/ ٢٤٦). «إعراب القرآن للنحاس» (٥/ ٦٦). «الدر المصون» (١٠/ ٦١٣). «حاشية الطيبي على الكشاف» (١٦/ ٢٠٠). «الزيادة والإحسان في علوم القرآن» (٣/ ٤٣٤).

(١٣٧) انظر: «زاد المسير» (٤/ ٣٨٠). «الزيادة والإحسان في علوم القرآن» (٣/ ٤٣٤). «روح المعاني» (١٥/ ١٧٨).

(١٣٨) «جامع البيان» (٢٣/ ٥٦٤). انظر: «معاني القرآن للفراء» (٣/ ٢١٧). «معاني القرآن للأخفش» (٢/ ٥٦١). «معاني

وقال السمعاني: «ومَن قال في قوله: ﴿سَلۡسَبِيلٗا﴾: سلْني سبيلًا إليها؛ فقد أبعد، وهو تأويل باطل، وليس هو من قول أهل العلم»(١٣٩).

وقال الزمخشري: «وقد عزوا إلى علي بن أبي طالب ﷺ أن معناه: سلْ سبيلًا إليها، وهذا غير مستقيم على ظاهره. إلا أن يراد أن جملة قول القائل: سلْ سبيلًا، جُعِلَت علمًا للعين، كما قيل: تأبط شرًّا، وذرى حبًّا(١٤٠)، وسُمِّيت بذلك؛ لأنه لا يشرب منها إلا من سأل إليها سبيلًا بالعمل الصالح، وهو مع استقامته في العربية تكلُّف، وابتداع، وعزوه إلى مثل علي ﷺ أبدع»(١٤١).

وقال ابن عطية: «وقال بعض المقرءين ﴿سَلۡسَبِيلٗا﴾ أمر للنبي ﷺ ولأمته بسؤال السبيل إليها.

وهذا قول ضعيف؛ لأن براعة القرآن وفصاحته لا تجيء هكذا، واللفظة معروفة في اللسان، وأن السلسل، والسلسبيل، بمعنى واحد، ومتقارب»(١٤٢).

المطلب الثامن/ الوجه الإعرابي الموافق لرسم المصحف أولى من الوجه المخالف له(١٤٣):

هذه قاعدة تفسيرية وثيقة الصلة جدًّا بالقاعدة السابقة، فصلت عنها لزيادة التوضيح، والبيان، ومعناها: أن من وجوه الترجيح أن يكون أحد الأقوال في إعراب لفظة من الآية موافقًا للرسم العثماني، ويكون الوجه الإعرابي الآخر مخالفًا له، فأولى الأقوال حينئذ بإعراب تلك اللفظة ما وافق الرسم العثماني.

من تطبيقات هذه القاعدة في السورة قول بعضهم في إعراب ﴿سَلۡسَبِيلٗا﴾: إنها جملة أمرية مستقلة، مكونة من فعل أمر وهو: (سلْ)، وفاعله ضمير مستتر وجوبًا، تقديره: (أنت)، و(سبيلًا) مفعول به منصوب بالفتحة

القرآن وإعرابه للزجاج» (٥/ ٢٦١). «الكشف والبيان» (٢٨/ ٢٤٦).

(١٣٩) «تفسير السمعاني» (٦/ ١١٩).

(١٤٠) أي: كالجمل المسمَّى بها، مثل: برق نحره، وشاب قرناها. والمسمَّى بالجملة يُحكَى على صيغته الأصلية. انظر: «درة الغواص في أوهام الخواص» للحريري (ص٢١٨). «المرتجل في شرح الجمل» لابن الخشاب (ص٢٩٧). «البديع في علم العربية» لابن الجزري (١/ ٧١٠). «لسان العرب» (٧/ ٢٥٣) (أبط).

(١٤١) «الكشاف» (٤/ ٦٧٢).

(١٤٢) «المحرر الوجيز» (٥/ ٤١٣).

(١٤٣) «قواعد الترجيح» (١/ ١١٠).

الظاهرة على آخره، ومعنى الجملة: سل سبيلًا موصلة إليه بالعمل الصالح(١٤٤).

وهذا الوجه الإعرابي مخالف للرسم العثماني، ومن قَبيل الفصل بين المتصل مع أن الصواب فيها أنها كلمة واحدة؛ لذا كتبت متصلة، ولو كانت كلمتين لكتبت مفصولة هكذا: (سلْ سبيلًا)(١٤٥)، وهو مع ما فيه من التعسف والتحريف يبطله إجماع المصاحف على أن ﴿سَلۡسَبِيلٗا﴾ كلمة واحدة؛ من السلاسة(١٤٦).

قال الجاحظ: «قالوا: أخطأ من وصل بعض هذه الكلمة ببعض. قالوا: وإنّما هي: سَلْ سبيلًا إليها يا محمد. فإن كان كما قالوا فأين معنى ﴿ تُسَمَّىٰ﴾؟! وعلى أيّ شيء وقع قوله: ﴿ تُسَمَّىٰ﴾؟! فتسمّى ماذا؟ وما ذلك الشيء؟!»(١٤٧).

وقال ابن جزي: «..وقيل: (سَلْ) فعل أمر، (سبيلًا) مفعول به. وهذا في غاية الضعف»(١٤٨).

وقال أبو حيان: «وقال بعض المعربين: ﴿سَلۡسَبِيلٗا﴾ أمر للنبي ﷺ ولأمته بسؤال السبيل إليها، وقد نسبوا هذا القول إلى عليّ كرَّم الله وجهه(١٤٩)، ويجب طرحه من كتب التفسير»(١٥٠).

وقال السمين في لفظ: ﴿سَلۡسَبِيلٗا﴾: «وأغرب ما قيل فيه – وليس بمستقيم عند المحققين – : إن أصله: (سَلْ

(١٤٤) انظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص ٤). «المدخل لعلم التفسير» للسمرقندي (ص:١٠ ١٠٧). «النكت والعيون» (٦/ ١٧١). «أسرار التكرار في القرآن» (ص٢٤٤). «المفردات في غريب القرآن» (ص٤١٨). «تفسير القرآن العظيم» للسخاوي (٢/ ١ ٥٥٢). «أمالي ابن الحاجب» (١/ ٢٦٦).

(١٤٥) انظر: «الأصلان في علوم القرآن» (ص٣٠٤).

(١٤٦) انظر: «الحيوان» للجاحظ (١/ ٢٢٩). «جامع البيان» (٢٣/ ٥٦٤). «التفسير الكبير» (٣٠/ ٧٥٢). «أمالي ابن الحاجب» (١/ ٢٦٦). «الإتقان» (٢/ ٣١٧). «الزيادة والإحسان في علوم القرآن» (٣/ ٤٣٤).

(١٤٧) «الحيوان» (١/ ٢٢٩).

(١٤٨) «التسهيل لعلوم التنزيل» (٢/ ٤٣٩).

(١٤٩) الأصل هو الترضي عن الصحابة رضي الله عنهم، وتخصيص علي ﷺ بهذا اللقب من غلوّ الروافض. قال ابن كثير في تفسيره (٦/ ٤٧٨ – ٤٧٩): «وقد غلب هذا في عبارة كثير من النساخ للكتب، أن يفرد علي ﷺ بأن يقال: "عليه السلام"، من دون سائر الصحابة، أو: "كرم الله وجهه" وهذا وإن كان معناه صحيحًا، لكن ينبغي أن يساوى بين الصحابة في ذلك؛ فإن هذا من باب التعظيم والتكريم، فالشيخان وأمير المؤمنين عثمان بن عفان أولى بذلك منه، رضي الله عنهم أجمعين».

(١٥٠) «البحر المحيط» (١٠/ ٣٦٥).

سبيلًا)، فيكون (سلْ) فعل أمر، و(سبيلًا) مفعول به، أي: سلْ طريقًا إلى الجنة»(١٥١).

المطلب التاسع/ حذف المتعلّق يفيد تعميم المعنى المناسب له(١٥٢):

هذه قاعدة تفسيرية في غاية الأهمية، تبيّن أن القرآن قد بلغ شأوًا بعيدًا في الإعجاز البلاغي إلى درجة أنه أعجز أساطين البلاغة والفصاحة أن يحاكوه في أقلّ آية منه، وأفحمهم في هذا، ومن أوجه إعجازه أنه يفيد بكلمات وألفاظ قليلة معانيَ كثيرة؛ وفوائد غزيرة، وذلك عبر أساليب بلاغية، ومنها: ما جاء بكثرة فيه من حذف المتعلّق لغرض إفادة العموم والشمول، وقصد التوسع في تقدير المحذوف بكل احتمال مناسب تكثيرًا للمعاني، وذلك أن الفعل – وما هو في معناه – متى قُيِّد بشيء تقيَّد به، فإذا أطلقه الله تعالى، وحذف المتعلّق كان القصد من ذلك التعميم، ويكون الحذف هنا أحسن وأفيد كثيرًا من التصريح بالمتعلّقات، وأجمع للمعاني النافعة.

ومن أمثلتها – وهي كثيرة جدًّا – قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾[النُّور:٥٦] أي: أطيعوا الرسول في كل ما يأمركم به، وينهاكم عنه، فجمعت جميع الأعمال الصالحات، فأهمّها بالتصريح، وسائرها بعموم حذف المتعلَّق(١٥٣). وقد اعتمد العلماء على هذه القاعدة، وذكروها في تفاسيرهم(١٥٤).

قال النيسابوري بعد اعتماده على القاعدة: «حذف المتعلّق أفخم؛ ليذهب الوهم كلَّ مذهب»(١٥٥).

وقال السعدي: «حذف المتعلّق المعمول فيه يفيد تعميم المعنى المناسب له. وهذه قاعدة مفيدة جدًّا، متى اعتبرها الإنسان في الآيات القرآنية أكسبته فوائد جليلة...، ولهذا كان قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ

(١٥١) «عمدة الحفاظ» (٢/ ٢١١).

(١٥٢) انظر: «فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب» (٥/ ٢٠). «القواعد الحسان» (ص٤٣). «حاشية الطيبي على الكشاف» (٥/ ٢٠). «تفسير ابن عثيمين – النمل» (ص٣٦٩).

(١٥٣) انظر: «نظم الدرر» (١٢/ ٤٨٤، ١٨/ ١٤٢). «إرشاد العقل السليم» (٦/ ١٩٢). «حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي» (١/ ١١٨). «روح المعاني» (١/ ٤٨٠). «القواعد الحسان» (ص٤٣– ٤٥). «التحرير والتنوير» (١٨/ ٢٨٩).

(١٥٤) انظر: «حاشية الطيبي على الكشاف»(٥/ ٢٠). «غرائب القرآن»(٢/ ٥٢٩). «نظم الدرر»(١٢/ ٤٨٤). «حاشية الشهاب على البيضاوي» (١/ ١١٨). «فتح القدير»(١/ ٣٨٢). «تفسير المنار» (٦/ ٢٢٣).«تيسير الكريم الرحمن» (ص٩٥١).

(١٥٥) «غرائب القرآن ورغائب الفرقان» (٢/ ٥٢٩).

عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾[البَقَرَة:١٨٣] يفيد كل ما قيل في حكمة الصيام، أي: لعلكم تتقون المحارم عمومًا، ولعلكم تتقون ما حرَّم الله على الصائمين من المفطرات، والممنوعات، ومن كل الأحوال والصفات السيئة والخبيثة، ولعلكم تتصفون بصفة التقوى، وتحصلون على كل ما يقيكم مما تكرهون، وتتخلقون بأخلاقها، وهكذا سائر ما ذكر فيه هذا اللفظ..»(١٥٦).

وقال ابن عثيمين: «والقاعدة عند أهل العلم: أنّ حذفَ المتعلّق يفيد العموم»(١٥٧).

ومن أمثلة القاعدة قوله - تعالى - في عدة آيات: ﴿لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾[البَقَرَة:٧٣]، ﴿لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾[الأَنْعَام:١٥٢]، فيدلّ ذلك على أن المراد: لعلكم تعقلون عن الله كل ما أرشدكم إليه، وكل ما علَّمكموه، وكل ما أنزل عليكم من الكتاب، والحكمة، ولعلكم تذكَّرون، فلا تنسون، ولا تغفلون، فتكونون دائمًا متيقظين، مُرْهفي الحواسّ، تحسّون كل ما تمرون به من سنن الله، وآياته، فتذكَّرون جميع مصالحكم الدينية، والدنيوية(١٥٨).

من تطبيقات هذه القاعدة في السورة أن مفعول ﴿رَأَيۡتَ﴾ في قوله: ﴿ وَإِذَا رَأَيۡتَ ثَمَّ رَأَيۡتَ نَعِيمٗا وَمُلۡكٗا كَبِيرًا﴾ محذوف؛ ليفيد الإطلاق في كل ما يرى.

قال ابن جزي: «مفعول ﴿رَأَيۡتَ﴾ محذوف؛ ليكون الكلام على الإطلاق في كل ما يرى فيها، و﴿ثَمَّ﴾ ظرف مكان، وقال الفراء(١٥٩): تقديره: إذا رأيت ما ثَمَّ، فـ(ما) مفعوله، ثم حُذِفَت»(١٦٠).

ومن تطبيقات هذه القاعدة أيضًا قوله تعالى: ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ﴾، حُذِف متعلّق الصبر لإفادة التعميم، أي: أنهم صبروا عن كل ما يُصبر عنه.

قال القرطبي: «قوله تعالى: ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ﴾ على الفقر. وقال القرظي: على الصوم. وقال عطاء: على الجوع ثلاثة أيام؛ وهي أيام النذر.

(١٥٦) «القواعد الحسان» (ص٤٣ - ٤٤).
(١٥٧) «تفسير ابن عثيمين - النمل» (ص٣٦٩).
(١٥٨) انظر: «القواعد الحسان» (ص٤٣).
(١٥٩) انظر: «معاني القرآن» (٣/ ٢١٨).
(١٦٠) «التسهيل لعلوم التنزيل» (٢/ ٤٣٩).

وقيل: بصبرهم على طاعة الله، وصبرهم عن معصية الله، ومحارمه.

و﴿بِمَا﴾ مصدريَّة، وهذا على أن الآية نزلت في جميع الأبرار، ومن فعل فعلًا حسنًا»[١٦١].

المطلب العاشر/ إذا كانت الآية تحتمل معنيين لا مرجِّح لأحدهما على الآخر، ولا يتضادَّانِ؛ فإنها تُحمَل عليهما جميعًا[١٦٢]:

هذه قاعدة تفسيرية مهمَّة، تبيِّن وجهًا إعجازيًّا للقرآن الحكيم، وأنه يدلُّ بألفاظ قليلة على معان كثيرة، وإذا وُجِدَتْ في الكتاب العزيز آيةٌ تحتمل معنيين فأكثر، وليس بينهما تناقض، فتُحمَل على المعنيين، أو المعاني؛ لأن القرآن أشمل، وأوسع؛ كأن يكون الاختلاف من باب التنوع، ومن هذا القبيل جُلُّ ما يُروَى عن السلف في التفسير، وغالب ما يصحّ عنهم من الخلاف يرجع إلى اختلاف التنوع، لا التضاد؛ كأن يعبِّر كل واحد منهم عن المراد بعبارة غير عبارة صاحبه، تدلّ على معنى في المسمَّى غير المعنى الآخر مع اتحاد المسمَّى، أو أن يذكر كل منهم من الاسم العام بعض أنواعه على سبيل التمثيل[١٦٣].

من تطبيقات هذه القاعدة في السورة ما جاء في تفسير ﴿وَأَسِيرًا﴾ من قوله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾، حيث ورد في تفسير الأسير أقوال متعددة، وبعد التأمّل يتبيَّن أنه لا تنافي بينها، ويمكن حمل الآية على جميعها عملًا بهذه القاعدة.

قال الحسن: هو الأسير من أهل الشرك. وهو قول قتادة، وعكرمة[١٦٤].

---

(١٦١) «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ١٣٦).

(١٦٢) «تفسير ابن عثيمين: جزء عم» (ص١٣٠). انظر: «أضواء البيان» (١/ ٥٢١ - ٥٢٤). «تفسير ابن عثيمين: جزء عم» (ص١٨٩، ٢١٣).

(١٦٣) انظر: «مقدمة في أصول التفسير» (ص١١ - ١٤).

(١٦٤) رواه عنهم الطبري في «جامع البيان» (٢٣/ ٥٤٤- ٥٤٥). انظر: «تفسير مقاتل بن سليمان» (٤/ ٥٢٥). «معاني القرآن وإعرابه» للزجاج (٥/ ٢٥٩). «إعراب القرآن للنحاس» (٥/ ٦٤). «أحكام القرآن» للجصاص (١/ ٥٥٩). «الكشف والبيان» (٢٨/ ٢١٠). «النكت والعيون» (٦/ ١٦٦). «التفسير البسيط» (٢٣/ ٢٩). «معالم التنزيل» (٥/ ١٩٢). «الناسخ والمنسوخ» لابن العربي (٢/ ٤٠٨). «الدر المنثور» (٨/ ٣٧١).

وقيل: المراد المسجون من أهل القبلة، وهو قول مجاهد، وعطاء، وسعيد بن جبير[١٦٥].

وقيل: الأسير المسلم إذا خرج من دار الحرب لطلب الفدية[١٦٦].وقيل: المراد بالأسير: المرأة[١٦٧]، وهنَّ أسرى عند الأزواج[١٦٨]؛ لقوله ﷺ: «أَلَا وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا، فَإِنَّمَا هُنَّ عَوَانٌ عِنْدَكُمْ»[١٦٩]. قال الترمذي: «وَمَعْنَى قَوْلِهِ: عَوَانٌ عِنْدَكُمْ، يَعْنِي: أَسْرَى فِي أَيْدِيكُمْ»[١٧٠].

قال القرطبي: « ﴿وَأَسِيرًا﴾ أي: الذي يُؤسَر فيُحبَس، فروى أبو صالح، عن ابن عباس، قال: الأسير من أهل الشرك يكون في أيديهم. وقاله قتادة.

وروى ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: الأسير هو: المحبوس. وكذا قال سعيد بن جبير، وعطاء: هو المسلم يُحبَس بحقٍّ. وعن سعيد بن جبير مثل قول قتادة، وابن عباس.

قال قتادة: لقد أمر الله بالأسرى أن يحسن إليهم، وإن أسراهم يومئذ لأهل الشرك، وأخوك المسلم أحقّ أن تطعمه. وقال عكرمة: الأسير العبد.

وقال أبو حمزة الثمالي: الأسير المرأة...، ويحتمل أن يريد بالأسير الناقص العقل، لأنه في أسر خبله، وجنونه،

---

(١٦٥) رواه عنهم الطبري في «جامع البيان» (٢٣/ ٥٤٥). انظر: «إعراب القرآن للنحاس» (٥/ ٦٤). «أحكام القرآن» للجصاص (١/ ٥٥٩). «الكشف والبيان» (٢٨/ ٢١٠). «النكت والعيون» (٦/ ١٦٦). «التفسير البسيط» (٢٣/ ٢٩). «التسهيل لعلوم التنزيل» (٢/ ٤٣٨). «الدر المنثور» (٨/ ٣٧١).

(١٦٦) انظر: «التسهيل لعلوم التنزيل» (٢/ ٤٣٨).

(١٦٧) انظر: «الكشف والبيان» (١/ ١٧٥، ٢٨/ ٢١٢). «النكت والعيون» (٦/ ١٦٦). «التفسير البسيط» (٢٣/ ٣١). «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ١٢٨- ١٢٩). «التسهيل لعلوم التنزيل» (٢/ ٤٣٨).

(١٦٨) انظر: «التفسير البسيط» (٢٣/ ٢٩- ٣٢). «الناسخ والمنسوخ» لابن العربي (٢/ ٤٠٨). «التسهيل لعلوم التنزيل» (٢/ ٤٣٧).

(١٦٩) رواه الترمذي في الرضاع، باب ما جاء في حق المرأة على زوجها» (ح:١١٦٣) قال: "حديث حسن صحيح". ابن ماجه في النكاح، باب حق المرأة على الزوج (ح١٨٥١). والنسائي في «الكبرى» (ح٩١٢٤) من حديث عمرو بن الأحوص. وحسنه الألباني في «إرواء الغليل» (ح٢٠٣٠). وقال الأرنؤوط في تحقيق «سنن ابن ماجه» (٣/ ٥٧): «صحيح لغيره، وهذا إسناد حسن».

(١٧٠) قاله بعد الحديث. انظر: «سنن الترمذي» (٢/ ٤٥٨).

وأسر المشرك انتقام يقف على رأي الإمام، وهذا برٌّ، وإحسان. وعن عطاء قال: الأسير من أهل القبلة، وغيرهم.

قلت: وكأنّ هذا القول عامّ يجمع جميع الأقوال، ويكون إطعام الأسير المشرك قربة إلى الله تعالى، غير أنه من صدقة التطوع، فأما المفروضة فلا. والله أعلم»(١٧١).

المطلب الحادي عشر/ العموم يجب إبقاؤه على عمومه ما لم يرد دليل بالتخصيص(١٧٢):

هذه قاعدة ترجيحية مفيدة توجب حمل نصوص الوحي العامّة على عموم ألفاظها؛ لأن من حقِّ الكلام أن يُحمل على عمومه؛ ولأن أصل التشريع جاء عامًّا ما لم يرد نصّ بالتخصيص؛ وإذا دارت أقوال المفسرين في تفسير آية، أو لفظة من كتاب الله، بين من يحملها على العموم، ومن يحملها على الخصوص؛ فالصواب حملها على العموم ما لم يرد دليل يصرف العموم إلى الخصوص؛ لأنه غير جائز ادّعاء خصوص في آية عام ظاهرها إلا بحجة يجب التسليم لها(١٧٣).

يقول ابن عبد البر: «يجب على كل من بلغه شيء أن يستعمله على عمومه حتى يثبت عنده ما يختصّ به»(١٧٤).

ويقول الشنقيطي: «والقاعدة المقرَّرة في الأصول: أن العموم يجب إبقاؤه على عمومه؛ فما أخرجه نص مخصِّص خرج من العموم، وبقي العام حجة في بقية الأفراد التي لم يدل على إخراجها دليل...، وهو الحق، ومذهب الجمهور.

وغالب ما في الكتاب والسنة من العمومات يخرج منها بعض الأفراد بنصٍّ مخصِّص، ويبقى العام حجة في الباقي»(١٧٥).

---

(١٧١) «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ١٢٨- ١٢٩). انظر: «جامع البيان» (٢٣/ ٥٤٤).

(١٧٢) انظر: «جامع البيان» (٢/ ٤٦٤، ٤/ ١٥٧، ٢٤٦، ٣٠١). «الإبانة عن أصول الديانة» (ص: ١٣٨). «الاستذكار» (٣/ ٩٩). «التسهيل لعلوم التنزيل» (١/ ١٩). «أضواء البيان» (٤/١٧٦).

(١٧٣) انظر: «جامع البيان» (٢/ ٤٦٤). «الاستذكار» (٢/ ٤٤٣). «التمهيد» (١٨/ ٦٤). «قواعد الترجيح» (٢/ ٥٢٧).

(١٧٤) «الاستذكار» (٣/ ٩٩).

(١٧٥) أضواء البيان (٤/١٧٦).

من تطبيقات هذه القاعدة في السورة ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَسِيرًا﴾ من أقوال متعددة كما سبق في التمثيل بالقاعدة السابقة، قيل: هو الأسير من أهل الشرك(١٧٦).

وقيل: المراد بالأسير في الآية: المسجون من أهل القبلة(١٧٧).

ورُدَّ هذا بأن تسمية العبد أو المسجون أسيرًا بعيد، وإنما الأسير في عرف اللغة الكافر الذي يتخير فيه الإمام، وإطعامه إلى أن يقتل فرض، وكذلك إسقاؤه(١٧٨).

وقيل: إنه الأسير المسلم إذا خرج من دار الحرب لطلب الفدية(١٧٩).

وقيل: المراد بالأسير: المرأة(١٨٠)؛ وهن أسرى عند الأزواج؛ للحديث الوارد في ذلك: «أَلَا وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا، فَإِنَّمَا هُنَّ عَوَانٌ عِنْدَكُمْ»(١٨١).

وقيل: نسخ ذلك بالسيف(١٨٢). وهذا القول مرجوح كما سيأتي في تطبيقات القاعدة الآتية.

وهذه القاعدة ترجِّح القول بالعموم؛ لأن لفظ الأسير عامّ في كل أسير، والعامّ يجرى على عمومه حتى يأتي ما يخصِّصه، وهو يشمل الأسير من المشركين، والمحبوس من المسلمين، والأسير المسلم الذي يخرج من دار الحرب لطلب الفدية؛ لأن «المفهوم من خطاب الله تعالى وخطاب رسول الله ﷺ أنه متوجِّه إلى سائر الناس، وإلى أهل كل عصر إلى يوم القيامة»(١٨٣).

(١٧٦) سبق توثيقه، حاشية رقم (١٦٤).
(١٧٧) سبق توثيقه، حاشية رقم (١٦٥).
(١٧٨) انظر: «الناسخ والمنسوخ» لابن العربي (٢/ ٤٠٨). وانظر أيضًا: «أحكام القرآن» للجصاص (١/ ٥٥٩).
(١٧٩) سبق توثيقه، حاشية رقم (١٦٦).
(١٨٠) سبق توثيقه، حاشية رقم (١٦٧).
(١٨١) سبق تخريجه، حاشية رقم (١٦٩).
(١٨٢) انظر: «النكت والعيون» (٦/ ١٦٦). «التفسير البسيط» (٢٣/ ٣١). «نواسخ القرآن» (٢/ ٦٢٠). «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ١٢٩). «التسهيل لعلوم التنزيل» (٢/ ٤٣٨).
(١٨٣) «الفصول في الأصول» (٣/ ٢٧٢).

وقد أجمع المسلمون على أن الأسير يُطعَم، ولا يُقتل جوعًا(١٨٤)؛ وإذا كانت الآية تثني وتدلّ على أن إطعام الأسرى وإن كانوا من غير أهل ملتنا حسن يرجى ثوابه، فكيف بالأسير المسلم؟!(١٨٥).

قال الطبري مرجّحًا العموم: «والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله وصف هؤلاء الأبرار بأنهم كانوا في الدنيا يطعمون الأسير، والأسير الذي قد وُصِفت صفته؛ واسم الأسير قد يشتمل على الفريقين، وقد عمَّ الخبر عنهم أنهم يطعمونهم، فالخبر على عمومه حتى يخصّه ما يجب التسليم له.

وأمَّا قول من قال: لم يكن لهم أسير يومئذ إلا أهل الشرك، فإن ذلك وإن كان كذلك، فلم يخصص بالخبر الموفون بالنذر يومئذ، وإنما هو خبر من الله عن كل من كانت هذه صفته يومئذ وبعده إلى يوم القيامة، وكذلك الأسير معني به أسير المشركين والمسلمين يومئذ، وبعد ذلك إلى قيام الساعة»(١٨٦).

وقال النحاس: «اختلف العلماء في الأسير هاهنا، فقال بعضهم: هو من أهل الحرب؛ لأنه لم يكن في ذلك الوقت أسير إلّا منهم، وقال بعضهم: هو لأهل الحرب، وللمسلمين، وهذا أولى بعموم الآية، فلا يقع فيها خصوص إلا بدليل قاطع فيكون لمن كان في ذلك الوقت، ولمن بعد»(١٨٧).

ومن تطبيقات هذه القاعدة في السورة – أيضًا – ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمٗا ثَقِيلٗا﴾، من أن المراد بهؤلاء – الذين يحبون العاجلة؛ أي: الدنيا – هم أهل مكة.

وقيل: نزلت في اليهود حين كتموا صفة الرسول ﷺ، وصحة نبوّته. وقيل: أراد المنافقين(١٨٨).

والذي ترجّحه هذه القاعدة إفادة العموم – والعلم عند الله –، وأن الآية بعمومها تشمل كلَّ ما قيل في تفسيرها، وكل من يصدق عليه هذا الوصف؛ ومتى ما أمكن حمل الآية على معنى كلّيّ عامّ شامل يجمع تفسيرات

(١٨٤) انظر: «الناسخ والمنسوخ» لابن العربي (٢/ ٤٠٨).
(١٨٥) «التفسير البسيط» (٢٣/ ٢٩).
(١٨٦) «جامع البيان» (٢٣/ ٥٤٥).
(١٨٧) «إعراب القرآن للنحاس» (٥/ ٦٤)..
(١٨٨) ذكر القرطبي هذه الأقوال في «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ١٥٠- ١٥١). انظر: «جامع البيان» (٢٣/ ٥٧٤). «الهداية إلى بلوغ النهاية» (١٢/ ٧٩٤٦).

جزئيَّة جاءت في تفسيرها، ولا معارض له، وتشهد الأدلة لصحته؛ فهو أولى حملًا للآية على عموم ألفاظها، ولا داعي لتخصيصها(١٨٩).

قال القرطبي مرجِّحًا العموم: «قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ﴾ توبيخ، وتقريع، والمراد أهل مكة. والعاجلة: الدنيا...، وقيل: نزلت في اليهود فيما كتموه من صفة الرسول ﷺ، وصحّة نبوَّته. وحبّهم العاجلة: أخذهم الرشا على ما كتموه.

وقيل: أراد المنافقين؛ لاستبطانهم الكفر، وطلب الدنيا. والآية تعمُّ»(١٩٠).

المطلب الثاني عشر/ الأصل عدم النسخ(١٩١) ما لم يقم دليل صحيح صريح على خلاف ذلك(١٩٢):

تفيد هذه القاعدة أنه إذا دار الاختلاف في تفسير آية، أو جزء منها؛ بين نسخ الحكم وبقائه؛ حُمِل على بقائه دون نسخه، إلا لدليل، وحجة قاضية بالنسخ؛ وذلك إمَّا بالتنصيص من الشارع الحكيم على أن الآية منسوخة، أو التصريح بلفظ يدلُّ على النسخ، أو إجماع الأمَّة عليه، أو حكاية الصَّحابيّ للنسخ دون قوله: هذا منسوخ(١٩٣)، أو انتفاء حكم الآية من كل وجه، وامتناع الجمع والتوفيق بينها وبين ناسخها، وذلك أن الأصل هو عدم النسخ، ولهذا وجب السعي في تقليل النسخ قدر الإمكان، وعدم اعتبار النسخ مع الاحتمال، أو كان انتفاء الحكم في بعض الأوجه دون بعض؛ كالتخصيص، ونحوه(١٩٤).

---

(١٨٩) انظر: «قواعد الترجيح» (٢/ ٥٢٧) وما بعدها.

(١٩٠) «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ١٥٠- ١٥١).

(١٩١) النسخ: من نسخك كتابًا عن كتاب. وفي الاصطلاح: "رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متأخر". انظر: «مقاييس اللغة» (٥/٤٢٤) (نسخ)، «مجمل اللغة» (ص:٨٦٦) (نسخ)، «كشف الأسرار شرح أصول البزدوي» (٣/ ١٥٦). «التوقيف على مهمات التعاريف» (ص: ٣٢٤). «مناهل العرفان» (٢/ ١٧٦).

(١٩٢) انظر: «التفسير الكبير» (١٣/ ١٠٥). «اللباب في علوم الكتاب» (٣/ ٦٢).

(١٩٣) الفرق بين حكايته وبين قوله: الأول ينقل حكمه الذي عُمِل به ثم نُسخ إلى حكم آخر، أو يقول: رُخِّص في كذا ثم نهي عنه. وأمَّا قوله فهو رأيه العلمي، كقوله: هذه الآية منسوخة. واصطلاحهم للنسخ أعم من اصطلاح المتأخرين. انظر: «الإبهاج في شرح المنهاج» (٢/ ٢٤٣، ٢٧٣). «قواعد الترجيح» (١/ ٧٣- ٧٤).

(١٩٤) انظر: «الناسخ والمنسوخ» للنحاس (ص٦٧٣). «المحلى بالآثار» (١٢/ ٣٧٣). «التفسير الكبير»(١٣/ ١٠٥). الجامع

قال الطبري: «وغير جائز أن يُحكَم بحكم قد نزل به القرآن أنه منسوخ إلا بحجة يجب التسليم لها، فقد دللنا في غير موضع من كتبنا على أن لا منسوخ إلا ما أبطل حكمَه حادثٌ حَكَمَ بخلافه ينفيه من كلّ معانيه، أو يأتي خبر يُوجِب الحجةَ أن أحدهما ناسخٌ الآخر»(١٩٥).

قال النحاس: «النسخ إنما يكون بشيء قاطع، فإذا أمكن العمل بالآيتين فلا معنى للقول بالنسخ»(١٩٦).

من تطقبيات هذه القاعدة في السورة ما زعمه بعضهم في تفسير ﴿وَأَسِيرًا﴾ من قوله تعالى: ﴿وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا﴾ من أن المراد به: إطعام الأسير المشرك، وهو قول ابن عباس(١٩٧)، وعكرمة(١٩٨)، والحسن(١٩٩)، وقتادة(٢٠٠). وأن الآية تضمَّنت المدح لمن يطعمه، وهذا الحكم قد نُسخ بآية السيف(٢٠١). فعن سعيد

لأحكام القرآن (١٦/ ٢٢٨). «اللباب في علوم الكتاب»(٣/ ٦٢).«شرح الكوكب المنير»(١/ ٢٩٨).«تيسير التحرير» (٣/ ١٣٠). «روح المعاني» (٤/ ٢٨٩). «تفسير ابن عثيمين-النساء» (١/ ١٩١).

(١٩٥) «جامع البيان» (١١/ ٢٣- ٢٤).

(١٩٦) «الناسخ والمنسوخ» (ص٦٧٣). وذكر مثله القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١٦/ ٢٢٨).

(١٩٧) انظر: «التفسير البسيط» (٢٣/ ٢٩).

(١٩٨) رواه الطبري في «جامع البيان» (٢٣/ ٥٤٤). انظر: «التفسير البسيط» (٢٣/ ٢٩). «معالم التنزيل» (٥/ ١٩٢). «الناسخ والمنسوخ» لابن العربي (٢/ ٤٠٨). «التفسير الكبير» (٣٠/ ٧٤٨). «الدر المنثور» (٨/ ٣٧١).

(١٩٩) رواه ابن الجعد في «مسنده» (ص٢٢٣، رقمه:١٤٩١). وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢/ ٤٠١، رقمه:١٠٤٠٨). والطبري في «جامع البيان» (٢٣/ ٥٤٤). والبيهقي في «السنن الكبرى» (٩/ ٢١٨، رقمه:١٨٣٣٣). وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٣٧١) لسعيد بن منصور، وابن المنذر، وابن مردويه. انظر: «التفسير البسيط» (٢٣/ ٢٩). «معالم التنزيل» (٥/ ١٩٢). «الناسخ والمنسوخ» لابن العربي (٢/ ٤٠٨). «التفسير الكبير» (٣٠/ ٧٤٨).

(٢٠٠) رواه الطبري في «جامع البيان» (٢٣/ ٥٤٤). انظر: «التفسير البسيط» (٢٣/ ٢٩). «معالم التنزيل» (٥/ ١٩٢). «الناسخ والمنسوخ» لابن العربي (٢/ ٤٠٨). «التفسير الكبير» (٣٠/ ٧٤٨). «الدر المنثور» (٨/ ٣٧١).

(٢٠١) انظر: «الناسخ والمنسوخ» للمقري (ص١٩٢).«الناسخ والمنسوخ» لابن حزم(ص٦٣).«الناسخ والمنسوخ» لابن العربي(٢/ ٤٠٨). «نواسخ القرآن» (٢/ ٦٢٠). وآية السيف هي الآية(٥) من سورة التوبة. انظر:«الناسخ والمنسوخ» للنحاس(ص٤١٦).

بن جبير قال: ﴿وَأَسِيرًا﴾ «يعني: من المشركين، نسخ السيف الأسير من المشركين»(٢٠٢).

وهذه القاعدة ترجّح أن الآية محكمة في حق الأسير المشرك؛ لأنه قد أجمع المسلمون على أن الأسير يُطعَم، ولا يُقتَل جوعًا(٢٠٣)؛ إلا أن فريضة الكفَّارات والزكوات فلا يجوز وضعها في فقراء المشركين، وأسراهم(٢٠٤)، ودعوى النسخ في حقه مردودة؛ وذلك أن الله جعل في النفوس أجرًا ولو كانت كافرة، وقد كان النبي ﷺ يأمر بإطعام الأسرى، وكسوتهم؛ كما في قصَّة ثُمَامَةَ بن أَثَالٍ الحنفيّ الذي أُسِر، فأمر النبي ﷺ بالإحسان إليه، ثم رجع ﷺ إلى أهله، فقال: ((اجمعوا ما كان عندكم من طعام، فابعثوا إليه))، وأمر بلِقْحته(٢٠٥) أن يُغدَّى عليه بها، ويُراح(٢٠٦).

وقد كسا عمَّه العباس بقميص لما وجده عاريًا؛ كما في "الصحيح"؛ من حديث جابر(٢٠٧)، وبوَّب البخاري عليه بابًا سمَّاه: «باب الكسوة للأسارى»، وقد كسا النبي ﷺ ابنة حاتم الطائي وأعطاها نفقتها، وأطلقها(٢٠٨).

قال القرطبي: «وقيل: نسخ إطعام المسكين آية الصدقات وإطعام الأسير آية السيف، قاله سعيد بن جبير. وقال غيره: بل هو ثابت الحكم، وإطعام اليتيم والمسكين على التطوّع، وإطعام الأسير لحفظ نفسه إلا أن يتخيَّر فيه الإمام»(٢٠٩).

وقال ابن الجوزي ردًّا على دعوى النسخ: «وليس هذا القول بشيء؛ فإن في إطعام الأسير المشرك ثوابًا»(٢١٠).

---

(٢٠٢) «نواسخ القرآن» (٢/ ٦٢٠) رواه الطبري في جامع البيان (٢٩/ ١٣٠) عن ابن جبير. وأخرج ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢/ ٤٠١، رقمه:١٠٤٠٥) عن سعيد بن جبير، وعطاء، أنه من أهل القبلة وغيرهم. انظر: الدر المنثور (٨/ ٣٧١).

(٢٠٣) انظر: «الناسخ والمنسوخ» لابن العربي (٢/ ٤٠٨).

(٢٠٤) «التفسير البسيط» (٢٣/ ٢٩).

(٢٠٥) اللقحة: واحدة اللِّقَاح من الإبل، وهي النّاقة التي لها لبن. انظر: «النهاية» (٤/ ٢٦٢)(لقح). «لسان العرب»(٢/ ٥٨١)(لقح).

(٢٠٦) «سيرة ابن هشام» (٢/ ٦٣٨). «الروض الأنف» (٧/ ٥٥١). «سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد» (٦/ ٧١).

(٢٠٧) رواه البخاري في الجهاد والسير، باب الكسوة للأسارى (ح٣٠٠٨).

(٢٠٨) انظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٥٧٩) وما بعدها. «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٩/ ١٩٣).

(٢٠٩) «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ١٢٩). انظر أيضًا: «التسهيل لعلوم التنزيل» (٢/ ٤٣٧).

(٢١٠) «زاد المسير» (٤/ ٣٧٨). انظر: «نواسخ القرآن» (٢/ ٦٢٠- ٦٢١).

وقال الكرمي ردًّا على دعوى النسخ: «..ليس بشيء، قال الحسن: كان – عليه الصلاة والسلام – يُؤتَى بأسير فيدفعه إلى بعض المسلمين؛ فيقول: ((أحسن إليه))، فيكون عنده اليومين، والثلاثة»(٢١١).

ومن تطبيقات هذه القاعدة في السورة – أيضًا – ما قاله بعض المفسرين من أن قوله تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ﴾ منسوخ؛ لأن معناه: اصبر على أذى المشركين، ثم نُسِخ بآية القتال، كما روى الضحاك، عن ابن عباس في معنى الآية، قال: اصبر على أذى المشركين، ثم نُسِخ بآية القتال(٢١٢).

والصّحيح أن الآية محكمة، ومعناها: اصبر لِمَا امتحنك به ربك من فرائضه، وتبليغ رسالاته، والقيام بما ألزمك القيام به في تنزيله الذي أوحاه إليك(٢١٣).

قال ابن الجوزي بعد حكاية النسخ في قوله تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُ﴾[يُونُس:١٠٩] عن ابن عباس – رضي الله عنهما – : «وهذا لا يثبت عن ابن عباس، ثم إن الأمر بالصبر هاهنا مذكور إلى غاية، وما بعد الغاية يخالف ما قبلها...، فلا وجه للنسخ في شيء من هذه الآيات»(٢١٤).

وأيضًا أن من الشروط المعتبرة في ثبوت النسخ أن يكون الحكم في الناسخ والمنسوخ متنافيًا، بحيث لا يمكن العمل بهما جميعًا، فإن كان ممكنًا لم يكن أحدهما ناسخًا للآخر، مثل: أن يكون كلّ واحد من الحكمين ثابتًا في حال غير الحالة التي ثبت فيها الحكم الآخر. كما هو الحال هنا.

وقد قرَّر العلماء أنه لا يثبت التناقض بين القضيتين إذا اختلف زمانهما؛ لاحتمال صدق كلّ منهما في وقتها، لأنه يُشترط في التناقض: اتحاد الزمان، وإن اختلف الزمان جاز صدق كلّ منهما في وقتها، كما لو قلت: لم يستقبل

(٢١١) «قلائد المرجان» (ص٢٢٠).

(٢١٢) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ١٤٩). وانظر أيضًا: «الناسخ والمنسوخ» للمقري (ص١٩٢). «الناسخ والمنسوخ» لابن حزم (ص٦٣). «الناسخ والمنسوخ» لابن العربي (٢/ ٤٠٨). «نواسخ القرآن» (٢/ ٦٢٠). «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ١٤٩).«قلائد المرجان» (ص٢٢٠).

(٢١٣) انظر: «جامع البيان» (٢٣/ ٥٧٢). «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ١٤٩).

(٢١٤) «نواسخ القرآن» (٢/ ٤٨٠). انظر: «نفس المرجع» (١/ ١٩٤، ٢/ ٣٥٤).

بيت المقدس، قد استقبل بيت المقدس، وعنيت بالأولى ما بعد النسخ، وبالثانية ما قبله، فكلتاهما تكون صادقة(٢١٥).

ومن تطبيقات هذه القاعدة في السورة – أيضًا – ما قاله بعضهم في تفسير قوله: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ۝٢٩ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا﴾، حيث زعموا أن قوله: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ﴾ محكم، وقوله: ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا﴾ منسوخ بقوله تعالى بعده: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾(٢١٦).

والذي ترجحه هذه القاعدة أن الآية كلها محكمة، وأنه لا تعارض بين الآيتين، وأن دعوى النسخ غير متجهة؛ لأنه – سبحانه – إنما أخبر أن مشيئتهم لا تقع إلا بعد مشيئته تعالى، فقال: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾(٢١٧).

قال القرطبي: «...وقيل: إن الآية الأولى منسوخة بالثانية. والأشبه أنه ليس بنسخ، بل هو تبيين أن ذلك لا يكون إلا بمشيئته. قال الفراء: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ جواب لقوله: ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا﴾، ثم أخبرهم أن الامر ليس إليهم؛ فقال: وما تشاؤون ذلك السبيل إلا أن يشاء الله لكم»(٢١٨).

وقال ابن العربي ردًّا على من ادَّعى النسخ في الآية وأمثالها: «وقد سقط فيها ابن حبيب(٢١٩) لليدين وللفم(٢٢٠)، حيث تكلَّم فيها بأمر لم تعلم حقيقته، ولم تفهم، فقال: إن قوله تعالى: ﴿ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ﴾[فُصِّلَت:٤٠]، وقوله: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ﴾[التَّكوِير:٢٨]، وقوله: ﴿فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ﴾[الكَهف:٢٩] نسخ جميعُه قولَه

(٢١٥) انظر: «أضواء البيان» (١/ ٥٢١ – ٥٢٤).

(٢١٦) انظر: «الناسخ والمنسوخ» للمقري (ص١٩٢). «الناسخ والمنسوخ» لابن حزم (ص٦٣). «الناسخ والمنسوخ» لابن العربي(٢/ ٤٠٨). «نواسخ القرآن» (٢/ ٦٢٠). «قلائد المرجان» (ص٢٢٠).

(٢١٧) انظر: «قلائد المرجان» (ص٢٢٢).

(٢١٨) «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ١٥٢). انظر قول الفراء في كتابه: «معاني القرآن» (٣/ ٢٢٠).

(٢١٩) هو: عبد الملك بن حبيب السلمي الأندلسي القرطبي، الإمام العلامة، عالم الأندلس وفقيهها في عصره، رأس في فقه المالكية. له تصانيف كثيرة، توفي سنة (٢٣٨هـ). انظر: «طبقات النحويين واللغويين» لمحمد بن الحسن الأندلسي (ص٢٦٠). سير أعلام النبلاء (١٢/ ١٠٢).

(٢٢٠) دعاء عليه، أي: كَبّه الله ليديه وفمه. انظر: «المستقصى في أمثال العرب» (٢/ ٢٩٣). «تاج العروس» (يدي)(٤٠/ ٣٥٤).

تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾، وهذا جهل عظام، وخطْب جسام، فإن الحقائق لا تنسخ، لا سيما إذا كانت في العقائد، وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ عقيدة حقٌّ، وكلمة صدق، ولم تزل الحقيقة كذلك، ولا تزال، ولم يختلف قطُّ هذا بحال حتى يمحى في حاله، ويثبت في أخرى، كما أن قوله تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ﴾[التكوير:٢٨]، وقوله: ﴿فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ﴾[الكهف:٢٩] عقيدة حق، وكلمة صدق، متفقة متسقة، غير مختلفة ولا مفترقة..»[٢٢١].

وقال ابن الجوزي: «قوله تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾ زعم بعض من لا فهم له أنها نُسِخَتْ بقوله: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾، وليس هذا بكلام من يدري ما يقول؛ لأن الآية الأولى أثبتت للإنسان مشيئته، والآية الثانية أثبتت أنه لا يشاء حتى يشاء الله، وكيف يتصوَّر النَّسخ؟!»[٢٢٢].

المطلب الثالث عشر/ العبرة بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب[٢٢٣]:

هذه قاعدة تفسيرية نافعة جدًّا، اتفق عليها المحققون من المفسرين، وغيرهم، ويحصل بمراعاتها للمرء خير كثير، وعلم غزير، وبإهمالها يفوته علم جمّ، ويقع الغلط، والارتباك الخطير، ومتى ما راعيت هذه القاعدة حق الرعاية عرفت أن ما ذكره المفسرون من أسباب النزول إنما هو على سبيل المثال لتوضيح الألفاظ، وليست معاني الألفاظ والآيات مقصورةً عليها؛ لأن القرآن الكريم نزل لهداية أوَّل الأمة، وآخرها، حيث تكون، وأنَّى تكون[٢٢٤].

وتبيّن هذه القاعدة أنّ الصَّحيح مذهب الجمهور من أن العبرة بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب؛ لأن الحجة في لفظ الشارع، لا في سببه، وإذا كان الأمر كذلك، وجب مراعاة اللفظ عمومًا وخصوصًا كما لو ورد ابتداءً على غير سبب، والعدول عن الخاصّ إلى العام دليل على إرادة العموم. وأكثر أحكام الشرع العامّة وردت لأسباب

---

(٢٢١) «الناسخ والمنسوخ» (٢/ ٣٥٢).

(٢٢٢) «نواسخ القرآن» (٢/ ٦١٨).

(٢٢٣) «المحصول للرازي» (٣/ ١٢٥، ٤/ ٥٧). «التفسير الكبير» (٣/ ٤٩٦). «القواعد الحسان» (ص١١). «تفسير ابن عثيمين: جزء عم» (٢/ ٥٤٥).

(٢٢٤) انظر: «القواعد الحسان» (ص: ١٨).

خاصّة، وقد أجمعت الأمة على تعميم حكمها[٢٢٥]، مثل: حكم آية اللعان النازلة في عويمر العجلاني[٢٢٦]، وآية الظهار النازلة في امرأة أوس بن الصامت[٢٢٧]، وغيرهما.

وهذا القول هو الراجح في المسألة خلافًا لمن جعله قاصرًا على سبب نزوله فقط[٢٢٨]، وذلك لظهور أدلته، وقوتها، ولم يأت من خالفه بدليل تقوم به الحجة، وقد صحَّحه غير واحد من العلماء[٢٢٩].

قال الطبري: إن الآية قد تنزل لسبب من الأسباب ويكون الحكم بها عامًّا في كل ما كان بمعنى السبب الذي نزلت فيه[٢٣٠].

وقال الرازي في آية نزلت في اليهود[٢٣١]: «العبرة بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب، فالآية وإن نزلت في اليهود لكنها عامَّة في حقِّ كلّ من كتم شيئًا من باب الدِّين يجب إظهاره»[٢٣٢].

وقال الشنقيطي: «فإن قيل: ما الدليل على أن العبرة بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب؟

فالجواب: أن ذلك دلَّ عليه الوحي، واللغة، أمَّا الوحي فإن هذه المسألة سُئِل عنها رسول الله ﷺ فأفتى بذلك، وذلك أن الأنصاري الذي قبَّل الأجنبية، ونزلت فيه: ﴿إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾[هود:١١٤] الآية، قال للنبي

---

(٢٢٥) انظر: «روضة الناظر» (ص٢٣٦- ٢٣٧). «البحر المحيط» للزركشي (٣/١٩٨- ٢١٠). «إرشاد الفحول» (١/٥٨٦- ٥٩١). «مناهل العرفان» (١/١٢٥). «أسباب النزول وأثرها في بيان النصوص» (ص٤٠٢ - ٤٠٥).

(٢٢٦) أخرجه البخاري في التفسير، باب قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ وَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمۡ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمۡ أَرۡبَعُ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ﴾[النور:٦](ح٤٧٤٥).

(٢٢٧) أخرجه الحاكم (٢/ ٤٨١) وصححه، ووافقه الذهبي. وانظر: «أسباب النزول للواحدي» (ص٤٧١ - ٤٧٣).

(٢٢٨) انظر في أدلة القولين ومناقشاتها: «المحصول» للرازي (٣/ ١٢٥). «شرح مختصر الروضة» للطوفي (٢/ ٥٠١). «البحر المحيط» للزركشي (٣/ ١٩٨- ٢١٠). «الإتقان» (١/١٩٦- ٢٠١). «إرشاد الفحول» (١/٥٨٦ - ٥٩٢).

(٢٢٩) انظر: المراجع السابقة. «مجموع فتاوى ابن تيمية» (١٣/ ٣٣٨، ١٥/ ٣٦٤).

(٢٣٠) انظر: «جامع البيان» (١٤/ ٣٤١).

(٢٣١) وهي الآية رقم: [١٧٤] من سورة البقرة.

(٢٣٢) «التفسير الكبير» (٥/ ٢٠٦).

ﷺ: ألي هذا وحدي يا رسول الله؟ ومعنى ذلك: هل حكم هذه الآية يختصّ بي؛ لأني سبب نزولها؟ فأفتاه النبي ﷺ بأن العبرة بعموم لفظ: ﴿إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾[هُود:١١٤]، لا بخصوص السبب، حيث قال له: «بل لأمتي كلهم»[٢٣٣]، وهو نصٌّ نبويٌّ في محل النزاع...

وأمَّا اللغة فإنَّ الرجل لو قالت له زوجته: طلِّقني، فطلَّق جميع نسائه لا يختصّ الطلاق بالطالبة التي هي السبب»[٢٣٤].

من تطبيقات هذه القاعدة في السورة ما رُوِي في سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورٗا﴾ من أنها نزلت في أبي جهل. وقيل: إن الآثم: عتبة بن ربيعة، والكفور: الوليد بن المغيرة، وقيل غير ذلك[٢٣٥].

والراجح أن الآية عامَّة؛ لأن العبرة بعموم اللفظ، وليس بخصوص السبب. وإلى هذا يشير الطبري بقوله: «﴿وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورٗا﴾ يقول: ولا تطع في معصية الله من مشركي قومك آثمًا يريد بركوبه معاصيه، ﴿أَوۡ كَفُورٗا﴾ يعني: جحودًا لنعمه عنده، وآلائه قبله، فهو يكفر به، ويعبد غيره. وقيل: إن الذي عُنِي بهذا القول أبو جهل»[٢٣٦].

وقال ابن جزي: «﴿ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورٗا﴾ ﴿أَوۡ﴾ هنا للتنويع..، ورُوِي أن الآية نزلت في أبي جهل. وقيل: إن الآثم عتبة بن ربيعة، والكفور الوليد بن المغيرة. والأحسن أنها على العموم؛ لأن لفظها عامّ، وإن كان سبب نزولها خاصًّا»[٢٣٧].

---

(٢٣٣) أخرجه البخاري في الصلاة، باب الصلاة كفارة (ح٥٢٦). مسلم في التوبة، باب ﴿إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ (ح٢٧٦٣).

(٢٣٤) «مذكرة في أصول الفقه» (ص: ٢٥١ – ٢٥٢).

(٢٣٥) انظر: «تفسير مقاتل بن سليمان» (٤/ ٥٣٣- ٥٣٤). «جامع البيان» (٢٣/ ٥٧٢). «بحر العلوم» (٣/ ٥٢٩). «الكشف والبيان» (٢٨/ ٢٥٨- ٢٥٩). «التسهيل لعلوم التنزيل» (٢/ ٤٤٠).

(٢٣٦) «جامع البيان» (٢٣/ ٥٧٢).

(٢٣٧) «التسهيل لعلوم التنزيل» (٢/ ٤٤٠).

المطلب الرابع عشر/ إذا دار اللفظ بين أن يكون زائدًا أو متأصِّلًا فإنه يحمل على تأصيله[٢٣٨]:

هذه قاعدة تفسيرية نافعة جدًّا، تبيِّن أنه إذا دار اللفظ بين أن يكون زائدًا أو غير زائد فحمله على عدم الزيادة أولى من حمله على الزيادة؛ لأن الأصل عدم الزيادة؛ ولا يُعدل عنه إلا بدليل يجب الرجوع إليه، و«لأن زيادة ما لا تفيد من الكلام معنى في الكلام غير جائز إضافته إلى الله جل ثناؤه»[٢٣٩].

ولا نعني بالزيادة هنا: الزيادة التي تكون للتأكيد والتقوية؛ لأن زيادة بعض الحروف والكلمات للتأكيد وارد في لسان العرب، ومن سَننها، وبه جاء القرآن الكريم[٢٤٠]. وهذه القاعدة متفرعة عن القاعدة الكلية: «**إعمال الكلام أولى من إهماله**»[٢٤١]. وتؤيدها قاعدة أخرى: «**إذا دَار اللَّفْظ بين التأسيس والتأكيد تعيَّن حمله على التأسيس**»[٢٤٢].

من تطبيقات هذه القاعدة ما ذهب إليه بعض المفسرين إلى أن الباء في قوله تعالى: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾ زائدة، وأن ﴿يَشْرَبُ بِهَا﴾ و(يشربها) سواء في المعنى، ومثله: فلان يتكلم بكلام حسن، ويتكلَّم كلامًا حسنًا[٢٤٣].

والراجح أن الباء ليست زائدة؛ لأن الباء إنما تزاد في مواضع ليس هذا منها، بل إنها للإلصاق، أو ضُمِّن ﴿يَشْرَبُ﴾ معنى: (يروى) فعدِّي بصلته.

قال النحاس: «وفي ﴿يَشْرَبُ بِهَا﴾ وجهان: قال الفراء: ﴿يَشْرَبُ بِهَا﴾ ويشربها واحد[٢٤٤]. قال أبو جعفر:

---

(٢٣٨) قاله ابن النجار في «شرح الكوكب المنير» (١/ ٢٩٦).

(٢٣٩) «جامع البيان» (٢/ ٢٣٥). «المرجع السابق» (١/ ٤٦٦- ٤٦٧). «مجموع فتاوى ابن تيمية» (١٦/ ٧٣).

(٢٤٠) انظر: «معاني القرآن وإعرابه للزجاج» (١/ ٤٨٢). «قواعد الترجيح عند المفسرين» (٢/ ٤٩٥) وما بعدها.

(٢٤١) انظر: «الإبهاج في شرح المنهاج» (٢/ ١٢٩). «شرح الكوكب المنير» (١/ ٢٩٦). «محاسن التأويل» (٨/ ٤٥٠). «الوجيز في أصول الفقه الإسلامي» (٢/ ٤٢٥).

(٢٤٢) انظر: «التمهيد في تخريج الفروع على الأصول» (ص١٦٧). «المنثور في القواعد الفقهية» (١/ ٣٢٠).

(٢٤٣) انظر: «معاني القرآن للفراء» (٣/ ٢١٥). «جامع البيان» (٤/ ١٥٠، ٢٣/ ٥٤٠). «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ١٢٦). «اللباب في علوم الكتاب» (٢٠/ ١٩).

(٢٤٤) انظر: «معاني القرآن للفراء» (٣/ ٢١٥).

وأحسن من هذا أن يكون المعنى: يروى بها»[٢٤٥].

وقال ابن جزي: « ﴿يَشْرَبُ بِهَا﴾ قال ابن عطية: الباء زائدة، والمعنى: يشربها[٢٤٦]، وهذا ضعيف؛ لأن الباء إنما تزاد في مواضع ليس هذا منها، وإنما هي كقولك: شربت الماء بالعسل؛ لأن العين المذكورة تمزج بها الكأس من الخمر»[٢٤٧].

المطلب الخامس عشر/ «عود الضمير على غير مذكور بل مدلول عليه بشيء خلاف الأصل»[٢٤٨]:

هذه قاعدة تفسيرية مهمَّة اعتمد عليها المفسرون، تقرِّر أن الأصل في العربية أن يرجع الضمير إلى أقرب مذكور ما لم يرد دليل بخلافه، وهذا أولى من إعادته إلى المقدَّر[٢٤٩]، فحينما يحصل الاختلاف في مرجع الضمير، فمنهم من يعيده إلى مذكور، ومنهم من يعيده إلى مقدّر، فحينئذ إعادته إلى المذكور أولى وأفضل؛ وخلافه خلاف الأصل؛ لأن إعادته إلى المقدَّر مع إمكان إعادته إلى المذكور فيه إخراج للآية عن نظمها دون موجب[٢٥٠]، ولأن «مما لا شك فيه أن ما لا يحتاج إلى تقدير أرجح وأولى مما يحتاج إلى تقدير»[٢٥١].

يقول الرازي: «الضمير يجب عوده إلى أقرب المذكور»[٢٥٢].

وهذه القاعدة جزء من القاعدة المشهورة: «**تقديم الاستقلال على الإضمار إلّا أن يدل دليل على**

---

(٢٤٥) «إعراب القرآن» للنحاس (٥/ ٦٣ - ٦٤). انظر: «البحر المحيط في التفسير» (١٠/ ٣٦٠- ٣٦١).

(٢٤٦) انظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٤١٠).

(٢٤٧) «التسهيل لعلوم التنزيل» (٢/ ٤٣٧).

(٢٤٨) «الدر المصون» (٢/ ٢٤٨). انظر: «التفسير الكبير» (١٣/ ٢٤). «الجامع لأحكام القرآن» (٣/ ١٧٠). «لباب التأويل» (٣/ ٤٤). «اللباب في علوم الكتاب» (٢/ ٣٤٧).

(٢٤٩) انظر: «شرح المعالم في أصول الفقه» (٤٨٧/١). «مجموع فتاوى ابن تيمية»(١٤٧/٣١).

(٢٥٠) انظر: «قواعد الترجيح» (٢/ ٥٩٣) وما بعدها.

(٢٥١) «أضواء البيان» (٧/ ١٣٠).

(٢٥٢) «التفسير الكبير» (١٣/ ٢٤). وذكر مثله الخازن في «لباب التأويل» (٣/ ٤٤). وذلك في تفسير قوله: ﴿وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ﴾ [إبراهيم:٤٦].

الإضمار»[٢٥٣].

من تطبيقات هذه القاعدة في السورة قوله تعالى: ﴿وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ حيث ورد في مرجع هاء الكناية قولان: أحدهما: ترجع إلى الطعام، فكأنهم كانوا يُؤْثِرُون وهم محتاجون إليه. وهذا قول ابن عباس[٢٥٤]، ومجاهد[٢٥٥]، والجمهور[٢٥٦]. والثاني: أنها ترجع إلى لفظ (الله) تعالى المفهوم من السياق[٢٥٧].

والقول الأول هو الذي ترجحه هذه القاعدة، وهو الصواب، والعلم عند الله تعالى[٢٥٨].

قال ابن جزي: «﴿عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ الضمير للطعام، أي: يطعمونه مع حبّه، والحاجة إليه، فهو كقوله: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[آل عِمۡرَان:٩٢]، وقوله: ﴿وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٌ﴾[الحَشۡر:٩]، ففي قوله: ﴿عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ تتميم، وهو من أدوات البيان. وقيل: الضمير لله. وقيل: للإطعام المفهوم من ﴿يُطۡعِمُونَ﴾. والأول أرجح وأظهر»[٢٥٩].

وقال أبو حيان: «﴿عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ أي: على حب الطعام، إذ هو محبوب للفاقة، والحاجة، قاله ابن عباس ومجاهد. أو على حب الله؛ أي: لوجهه، وابتغاء مرضاته، قاله الفضيل بن عياض، وأبو سليمان الداراني.

والأول أمدح؛ لأن فيه الإيثار على النفس، وأما الثاني فقد يفعله الأغنياء أكثر. وقال الحسن بن الفضل: على حب الطعام، أي محبين في فعلهم ذلك، لا رياء فيه»[٢٦٠].

---

(٢٥٣) انظر: «التسهيل لعلوم التنزيل» (١/ ١٩).

(٢٥٤) ذكره عنه الثعلبي في «الكشف والبيان» (٢٨/ ٢٠٩). ابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٣٧٧).

(٢٥٥) رواه عنه الطبري في «جامع البيان» (٢٣/ ٥٤٣).

(٢٥٦) انظر: «تفسير مقاتل بن سليمان» (٤/ ٥٢٥). «جامع البيان» (٢٣/ ٥٤٣). «معاني القرآن وإعرابه للزجاج» (٥/ ٢٥٩). «بحر العلوم» (٣/ ٥٢٦). «تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين» (٥/ ٧١). «الهداية إلى بلوغ النهاية» (١٢/ ٧٩١٤). «التفسير البسيط» (٢٣/ ٢٨). «زاد المسير» (٤/ ٣٧٧).

(٢٥٧) انظر: «الكشف والبيان» (٢٨/ ٢٠٩). «زاد المسير» (٤/ ٣٧٧).

(٢٥٨) انظر: «تفسير مقاتل بن سليمان» (٤/ ٥٢٥). «جامع البيان» (٢٣/ ٥٤٣). «روح المعاني» (١٥/ ١٧٠).

(٢٥٩) «التسهيل لعلوم التنزيل» (٢/ ٤٣٧).

(٢٦٠) «البحر المحيط» (١٠/ ٣٦١).

وقال ابن كثير: «وقوله: ﴿وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ قيل: على حب الله تعالى. وجعلوا الضمير عائدًا إلى الله – عزَّ وجلَّ – لدلالة السياق عليه. والأظهر أن الضمير عائد على الطعام، أي: ويطعمون الطعام في حال محبتهم وشهوتهم له، قاله مجاهد، ومقاتل، واختاره ابن جرير، كقوله تعالى: ﴿وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾[البَقَرَة:١٧٧]... وفي الصحيح: «أفضل الصدقة أن تصدق وأنت صحيح شحيح، تأمل الغنى، وتخشى الفقر»(٢٦١) أي: في حال محبتك للمال، وحرصك عليه، وحاجتك إليه؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا﴾»(٢٦٢).

(٢٦١) رواه البخاري في الزكاة، باب فضل صدقة الشحيح الصحيح (ح١٤١٩). مسلم في الزكاة، باب بيان أن أفضل الصدقة صدقة الصحيح الشحيح (ح١٠٣٢).

(٢٦٢) تفسير ابن كثير (٨/ ٢٨٨). انظر: «تفسير مقاتل بن سليمان» (٤/ ٥٢٥). «جامع البيان» (٢٣/ ٥٤٣).

د. بدر بن علي بن محمد العقل

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وقد توصَّل البحث إلى عدد من النتائج، ومن أبرزها:

- الراجح أن سورة الإنسان مكِّيَّة، ومكِّيَّتها ظاهرة جدًّا في موضوعها، وفي سياقها، وفي أسلوبها ومعانيها.

- سورة الإنسان عجيبة الشأن، جديرة بالتدبر لكل إنسان يريد النجاة، وآياتها تدور حوله؛ بيانًا لمبدأ أمره، ووسطه، ونهايته، وتوضيحًا لأصل خلقته، وحكمة وجوده، وتنظيمًا لحياته التي هي رأس ماله.

ومن هنا كان الرأي القريب للصواب - والعلم عند الله تعالى - أن محور السورة هو الإنسان؛ ولذا سمِّيت به، وتقدِّم له برنامجًا عمليًّا حتى يصل به إلى غايته المطلوبة التي يضمن بها سعادته في الدنيا والعقبى.

- تطرح السورة أسئلة مصيرية يجب على الإنسان التأمّل فيها، والإجابة عليها إجابات شافية كافية، وهي: الإنسان أي شيء هو؟ ومن أين أتى؟ ومن الذي خلقه؟! ولأي شيء خُلِق؟ وما غايته ورسالته في هذه الحياة؟ وإلى أين مصيره ومآله؟ وبأيّ شيء تكون سعادته، أو شقاؤه؟

- ختمت السورة الكريمة بالشرع والقدر، كما افتتحت بالخلق، والهداية، ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾ فهذا شرعه، ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ فهذا قضاؤه، وقدره، ثم ذكر الاسمين الموجبين للتخصيص وهما: العليم والحكيم.

- لم يثبت في سبب نزول سورة الإنسان شيء، وكل ما ورد لم يصح سندًا، أو سندًا ومتنًا.

- أن دراسة قواعد التفسير، وتطبيقها على الآيات عمليًّا من أعظم ما يعين المرء على فهم المقصود من الآيات، والوقوف على أصوب الأقوال، وأرجحها، والتمييز بين الصحيح والسقيم منها.

- تطبيق قواعد التفسير يساهم مساهمة فريدة في حفظ المفسّر وعصمته - بإذن الله - عن كثير من الأخطاء، ويمكِّنه من الرد العلمي المؤصَّل على الأقوال الشاذة، والمنكرة، والتأويلات الضعيفة.

- يُكسب تطبيق القواعد الدربة والملكة في فهمها، وسرعة تطبيقها على الآيات، وطريقة الاستفادة المثلى منها.

- بعد التأمّل والتدبُّر تم استخراج خمس عشرة قاعدة تفسيرية متنوعة من تفسير سورة الإنسان، ودراستها نظريًّا

وتطبيقها عمليًّا على آيات السورة.

وأما التوصيات فهي:

- العناية والاهتمام بدراسة القواعد التفسيرية، وتطبيقاتها على سور القرآن الكريم، فهي من أحسن الطرق وأمثلها في تصفية التفسير من الشوائب.

- تشجيع الباحثين على استخراج القواعد التفسيرية من سور القرآن كاملة، ودراستها وتطبيقها عمليًا؛ لفوائدها الجمة، وعظيم الحاجة إليها.

والحمد لله في البدء والختام، وصلَّى الله وسلَّم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرس المصادر والمراجع[٢٦٣]

١- الإبانة عن أصول الديانة للأشعري، تحقيق: فوقية محمود، دار الأنصار، القاهرة، ط:١، ١٣٩٧هـ.

٢- الإبهاج في شرح المنهاج لعلي وولده عبد الوهاب السبكي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:١، ١٤٠٤هـ.

٣- الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ.

٤- إرشاد الفحول للشوكاني، تحقيق: أحمد عزو، دمشق، دار الكتاب العربي، ط:١، ١٤١٩هـ.

٥- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل للألباني، بإشراف: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط:٢، ١٤٠٥هـ.

٦- الاستذكار لابن عبد البر، تحقيق: سالم عطا ومعوض، دار الكتب العلمية، ط:١، ١٤٢١هـ.

٧- أسرار ترتيب القرآن للسيوطي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع.

٨- أسرار التكرار في القرآن، للكرماني، تحقيق: عبد القادر عطا، بتعليق: أحمد عبد التواب، دار الفضيلة.

٩- الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة لعلي القاري، تحقيق: محمد الصباغ، دار الأمانة، بيروت.

١٠- الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر، تحقيق: عادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:١، ١٤١٥هـ.

١١- الأصلان في علوم القرآن لمحمد عبد المنعم القيعي، ط:٤، سنة ١٤١٧هـ.

١٢- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي، معه تكملة عطية سالم، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ.

١٣- إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم، تحقيق: محمد محيي الدين، بيروت، المكتبة العصرية، ١٤٠٧هـ.

١٤- أمالي ابن الحاجب، عثمان بن عمر، تحقيق: فخر قدارة، دار عمار، الأردن، دار الجيل، بيروت، ١٤٠٩هـ.

١٥- أنوار البروق في أنواء الفروق، لأحمد بن إدريس، الشهير بالقرافي، عالم الكتب.

(٢٦٣) الترتيب حسب حروف المعجم، وعدم الاعتداد بالألف واللام.

١٦- أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي، تحقيق: محمد المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط:١، ١٤١٨هـ.

١٧- أسباب نزول القرآن للواحدي، تحقيق: عصام الحميدان، دار الإصلاح، الدمام، ط:٢، ١٤١٢هـ.

١٨- أسباب النزول وأثرها في بيان النصوص لعماد الدين الرشيد، دار الشهاب، ١٤٢٠هـ.

١٩- الإشارة إلى الإيجاز لعز الدين بن عبد السلام، اعتناء: رمزي دمشقية، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٩٨٧م.

٢٠- إعراب القرآن للنَّحَّاس، تحقيق: عبد المنعم خليل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:١، ١٤٢١هـ.

٢١- إعجاز القرآن للباقلاني، تحقيق: أحمد صقر، دار المعارف، مصر، ط:٥، ١٩٩٧م.

٢٢- أقوى العُدَدِ في معرفةِ العَدَدِ للسخاوي، تحقيق: العطيَّة وزميله، دار المأمون للتراث، بيروت، ط:١، ١٤١٨هـ.

٢٣- بحر العلوم لأبي الليث السمرقندي، تحقيق: علي معوض وزميليه، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:١، ١٤١٣هـ.

٢٤- البحر المحيط في التفسير لأبي حيان، تحقيق: عادل عبد الموجود وزملائه، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ.

٢٥- البحر المحيط في أصول الفقه للزركشي، مراجعة: عمر الأشقر، دار الصفوة، ط:٢، ١٤١٣هـ.

٢٦- البديع في علم العربية لابن الجزري، تحقيق: فتحي علين، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط:١، ١٤٢٠هـ.

٢٧- البرهان فى تناسب سور القرآن لابن الزبير الغرناطي، تحقيق: محمد شعباني، وزارة الأوقاف، المغرب، ١٤١٠هـ.

٢٨- البرهان في علوم القرآن للزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل، دار المعرفة، ط:٢، بيروت.

٢٩- بصائر ذوي التمييز للفيروز أبادي، تحقيق: محمد النجار، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.

٣٠- البيان في عدّ آي القرآن للداني، تحقيق: غانم قدوري، مركز المخطوطات والتراث، الكويت، ط:١،

١٤١٤هـ.

٣١- تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

٣٢- تاريخ بغداد للخطيب، تحقيق: بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط:١، ١٤٢٢هـ.

٣٣- تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٤- التحرير والتنوير لابن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس.

٣٥- تخريج أحاديث الكشاف للزيلعي، تحقيق: عبد الله السعد، دار ابن خزيمة، الرياض، ط:١، ١٤١٤هـ.

٣٦- التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي، تحقيق: عبد الله الخالدي، دار الأرقم، بيروت، ط:١، ١٤١٦هـ.

٣٧- التفسير البسيط للواحدي، مجموعة رسائل علمية، عمادة البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود.

٣٨- تفسير القرآن العظيم لابن كثير، تحقيق: سامي سلامة، دار طيبة، ط:٢، ١٤٢٠هـ.

٣٩- تفسير القرآن العظيم للسخاوي، تحقيق: موسى مسعود وزميله، دار النشر للجامعات، ط:١، ١٤٣٠هـ.

٤٠- تفسير القرآن الكريم «الفاتحة والبقرة» لابن عثيمين، دار ابن الجوزي، ط:١، السعودية، ١٤٢٣هـ.

٤١- تفسير القرآن الكريم «سورة فاطر» لابن عثيمين، مؤسسة ابن عثيمين الخيرية، السعودية، ط:١، ١٤٣٦هـ.

٤٢- تفسير القرآن الكريم «سورة النمل» لابن عثيمين، مؤسسة ابن عثيمين الخيرية، السعودية، ط:١، ١٤٣٦هـ.

٤٣- تفسير القرآن الكريم «جزء عم» لابن عثيمين، دار الثريا، الرياض، ط:٢، ١٤٢٣هـ.

٤٤- التفسير الكبير =(مفاتيح الغيب) للرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط:٣، ١٤٢٠هـ.

٤٥- التفسير الوسيط للواحدي، تحقيق: عادل عبد الموجود وزملائه، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:١، ١٤١٥هـ.

٤٦- تفسير عبد الرزاق الصنعاني، تحقيق: محمود عبده، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:١، ١٤١٩هـ.

٤٧- تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، تحقيق: أسعد الطيب، مكتبة نزار الباز، السعودية، ط:٣، ١٤١٩هـ.

٤٨- تفسير القرآن للسمعاني، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وزميله، دار الوطن، الرياض، ط:١، ١٤١٨هـ.

٤٩- تفسير مجاهد، تحقيق: محمد أبو النيل، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، ط:١، ١٤١٠هـ

٥٠- تفسير مقاتل بن سليمان البلخي، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٤٢٤هـ.

٥١- التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم لنخبة من علماء التفسير، البحث العلمي جامعة الشارقة، الإمارات. ط:١، ١٤٣١هـ.

٥٢- التمهيد لابن عبد البر، تحقيق: مصطفى العلوي وزميله، وزارة الأوقاف الإسلامية، المغرب، ١٣٨٧هـ.

٥٣- التمهيد في تخريج الفروع على الأصول للإسنوي، تحقيق: محمد هيتو، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط:١، ١٤٠٠هـ.

٥٤- تهذيب اللغة للأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط:١، ٢٠٠١م.

٥٥- التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي، عالم الكتب، تحقيق: عبد الخالق ثروت، القاهرة، ط:١، ١٤١٠هـ.

٥٦- تيسير التحرير لأمير بادشاه الحنفي، مصطفى البابي، مصر، ١٣٥١هـ. ودار الكتب العلمية، بيروت،١٤٠٣هـ.

٥٧- تيسير الكريم الرحمن للسعدي، تحقيق: ابن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط:١، ١٤٢٠هـ.

٥٨- جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري، تحقيق: عبد الله التركي، دار هجر، ط:١، ١٤٢٢هـ.

٥٩- جامع الترمذي لمحمد بن عيسى بن سورة، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨م.

٦٠- جامع الرسائل لابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، دار العطاء، الرياض، ط:١، ١٤٢٢هـ.

٦١- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط:١، ١٤١٨هـ.

٦٢- حاشية الشِهاب على تفسير البيضاوي للخفاجي، دار صادر، بيروت.

٦٣- الحاوي للفتاوي للسيوطي، دار الفكر للطباعة، بيروت، ١٤٢٤هـ.

٦٤- حلية طالب العلم لبكر أبو زيد دار العاصمة، الرياض، ط:١، ١٤١٦هـ.
٦٥- الحيوان للجاحظ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:٢، ١٤٢٤هـ.
٦٦- دراسات أصولية في القرآن الكريم لمحمد الحفناوي، مكتبة الإشعاع الفنية، القاهرة، ١٤٢٢هـ.
٦٧- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي، تحقيق: أحمد الخراط، دار القلم، دمشق.
٦٨- الدر المنثور في التفسير للسيوطي، دار الفكر، بيروت.
٦٩- درة الغواص في أوهام الخواص للحريري، تحقيق: مطرجي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط:١، ١٩٩٨هـ.
٧٠- دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب للشنقيطي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط:١، ١٤١٧هـ.
٧١- دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية، جمع: محمد الجليند، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، ط:١، ١٤٠٤هـ.
٧٢- دلائل النبوة للبيهقي، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث، ط:١، ١٤٠٨هـ.
٧٣- ذم التأويل لابن قدامة المقدسي، تحقيق: بدر البدر، الدار السلفية، الكويت، ط:١، ١٤٠٦هـ.
٧٤- رسالة في فضل الخلفاء الراشدين لابن تيمية، تحقيق: قسم التحقيق بدار الصحابة، مصر، ط:١، ١٤١٢هـ.
٧٥- روح المعاني للألوسي، تحقيق: علي عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:١، ١٤١٥هـ.
٧٦- الروض الأنف للسهيلي، تحقيق: عمر السلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط:١، ١٤٢١هـ.
٧٧- روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه لابن قدامة، مؤسسة الريّان، ط:٢، ١٤٢٣هـ.
٧٨- رياض الصالحين للنووي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: ٣، ١٤١٩هـ.
٧٩- زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط:٤، ١٤٠٧هـ.
٨٠- الزيادة والإحسان في علوم القرآن لابن عقيلة، تحقيق: مجموعة باحثين، جامعة الشارقة، الإمارات، ط:١، ١٤٢٧هـ.

٨١- سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد للصالحي، تحقيق: عادل أحمد وزميله، دار الكتب العلمية بيروت، ط:١، ١٤١٤هـ.

٨٢- السراج المنير للشربيني، مطبعة بولاق، القاهرة، ١٢٨٥هـ.

٨٣- سلسلة الأحاديث الصحيحة، للألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط:١، ١٤١٥هـ.

٨٤- سنن ابن ماجه، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وزملائه، دار الرسالة العالمية، ط:١، ١٤٣٠هـ.

٨٥- سنن أبي داود السجستاني، تحقيق: شعَيب الأرنؤوط ومحَمَّد قره بللي، دار الرسالة العالمية، ط:١، ١٤٣٠هـ.

٨٦- سنن النسائي لأحمد بن شعيب، تحقيق: أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط:٢، ١٤٠٦هـ.

٨٧- سير أعلام النبلاء للذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط:٣، ١٤٠٥هـ.

٨٨- السنن الكبرى للبيهقي، تحقيق: محمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:٣، ١٤٢٤هـ.

٨٩- السنن الكبرى للنسائي، تحقيق: حسن شلبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط:١، ١٤٢١هـ.

٩٠- السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: طه سعد، شركة الطباعة الفنية المتحدة.

٩١- شرح رياض الصالحين لابن عثيمين، دار الوطن للنشر، الرياض، ١٤٢٦هـ.

٩٢- شرح صحيح البخارى لابن بطال، تحقيق: ياسر إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض، ط:٢، ١٤٢٣هـ.

٩٣- شرح الكوكب المنير لابن النجار، تحقيق: محمد الزحيلي وزميله، مكتبة العبيكان، ط:٢، ١٤١٨هـ.

٩٤- شرح مختصر الروضة للطوفي، تحقيق: عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، ط:١، ١٤٠٧هـ.

٩٥- شرح مشكل الآثار للطحاوي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط:١، ١٤١٥هـ.

٩٦- شرح المعالم في أصول الفقه لابن التلمساني، تحقيق: عادل أحمد وزميله، عالم الكتب، بيروت، ط:١، ١٤١٩هـ.

٩٧- شعب الإيمان للبيهقي، تحقيق: عبد العلي حامد، مكتبة الرشد بالرياض، ط:١، ١٤٢٣هـ.

٩٨- صحيح البخاري لمحمد بن إسماعيل، تحقيق: محمد الناصر، دار طوق النجاة، ط:١، ١٤٢٢هـ.

٩٩- صحيح مسلم لمسلم بن الحجاج، تحقيق: نظر الفاريابي، دار قرطبة، بيروت، ط:٢، ١٤٣٠هـ.

١٠٠- الصبر والثواب عليه لابن أبي الدنيا، تحقيق: محمد رمضان، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط:١، ١٤١٨هـ.

١٠١- ضعيف الترغيب والترهيب للألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط:١، ١٤٢١هـ.

١٠٢- طبقات النحويين واللغويين لمحمد بن الحسن الإشبيلي، تحقيق: محمد أبو الفضل، ط:٢، دار المعارف.

١٠٣- عون الرحمن في تفسير القرآن لسليمان اللاحم، دار ابن الجوزي، السعودية، ط:١، ١٤٤١هـ.

١٠٤- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين، تحقيق: محمد باسل، دار الكتب العلمية، ط:١، ١٤١٧هـ.

١٠٥- غرائب التفسير وعجائب التأويل للكرماني، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، مؤسسة علوم القرآن، بيروت.

١٠٦- غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري، تحقيق: عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:١، ١٤١٦هـ.

١٠٧- غريب القرآن لابن قتيبة، تحقيق: أحمد صقر، دار الكتب العلمية، ١٣٩٨هـ.

١٠٨- الفتاوى الحديثية لابن حجر الهيتمي، دار الفكر.

١٠٩- فتاوى النووي المسماة بالمسائل المنثورة للنووي، ترتيب: ابن العطّار، تحقيق: محمد الحجّار، دار البشائر، بيروت، ط:٦، ١٤١٧هـ.

١١٠- فتح القدير لمحمد بن علي الشوكاني، دار الكتاب العربي، بيروت، ط:١، ١٤٢١هـ.

١١١- الفصول في الأصول لأحمد بن علي الجصاص، وزارة الأوقاف الكويتية، ط:٢، ١٤١٤هـ.

١١٢- فضائل القرآن للقاسم بن سلام، تحقيق: مروان العطية وزميليه، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط:١، ١٤١٥هـ.

١١٣- فضائل القرآن للمستغفري، تحقيق: أحمد بن فارس السلوم، دار ابن حزم، ط:١، ٢٠٠٨م.

١١٤- الفوائد الموضوعة في الأحاديث الموضوعة للكرمي، تحقيق: محمد الصباغ، دار الوراق، الرياض، ط:٣، ١٤١٩هـ.

١١٥- قلائد المرجان في بيان الناسخ والمنسوخ في القرآن لمرعي الكرمي، تحقيق: سامي حسن، دار القرآن، الكويت.

١١٦- قواطع الأدلة في الأصول للسمعاني، تحقيق: محمد الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت،ط:١، ١٤١٨هـ.

١١٧- قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي، دار القاسم، الرياض، ط:١، ١٤١٧هـ.

١١٨- قواعد الترجيح المتعلقة بالنص عند ابن عاشور لعبير النعيم، دار التدمرية، الرياض، ط:١، ١٤٣٦هـ.

١١٩- قواعد التفسير لخالد بن عثمان السبت، دار ابن عفان، ط:٢، ١٤٢٩هـ.

١٢٠- القواعد الحسان لتفسير القرآن للسعدي، مكتبة الرشد، الرياض، ط:١، ١٤٢٠هـ.

١٢١- القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى لابن عثيمين، الجامعة الإسلامية بالمدينة، ط:٣، ١٤٢١هـ.

١٢٢- الكشاف عن حقائق التنْزيل للزمخشري، دار المعرفة، بيروت، مكة المكرمة.

١٢٣- كشف الأسرار شرح أصول البزدوي لعلاء الدين البخاري الحنفي، دار الكتاب الإسلامي.

١٢٤- الكشف والبيان للثعلبي، تحقيق: عدد من الباحثين، دار التفسير، جدة، السعودية، ط:١، ١٤٣٦هـ.

١٢٥- الكليات للكفوي، تحقيق: عدنان درويش، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط:٢، ١٤١٩هـ.

١٢٦- لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩هـ.

١٢٧- اللباب في علوم الكتاب لابن عادل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:١، ١٤١٩هـ.

١٢٨- لسان العرب لابن منظور، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

١٢٩- لطائف الإشارات لعبد الكريم القشيري، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط:٣.

١٣٠- مجاز القرآن لمعمر بن المثنى، تحقيق: محمد فواد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٣٨١هـ.

١٣١- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي، تحقيق: حسام الدين، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤هـ.

١٣٢- مجمل اللغة لأحمد بن فارس، تحقيق: زهير سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط:٢، ١٤٠٦هـ.
١٣٣- مجموع فتاوى ابن تيمية. جمع: عبد الرحمن بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ١٤٢٥هـ.
١٣٤- محاسن التأويل للقاسمي، تحقيق: محمد باسل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:١، ١٤١٨هـ.
١٣٥- المحرر الوجيز لابن عطية، تحقيق: عبد السلام محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:١، ١٤٢٢هـ.
١٣٦- المحصول في أصول الفقه لابن العربي، تحقيق: حسين اليدري، دار البيارق، عمان، ط:١، ١٤٢٠هـ.
١٣٧- مختصر التبيين لهجاء التنزيل لسليمان بن نجاح، تحقيق: أحمد شرشال،مجمع الملك فهد، المدينة، ١٤٢٣هـ.
١٣٨- المدخل لعلم تفسير كتاب الله للسمرقندي، تحقيق: صفوان داودي، دار العلم، دمشق، ط:١، ١٤٠٨هـ.
١٣٩- مذكرة في أصول الفقه للشنقيطي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط:٥، ٢٠٠١م.
١٤٠- المرتجل (في شرح الجمل) لابن الخشاب، تحقيق: علي حيدر، دمشق، ١٣٩٢هـ.
١٤١- المستقصى في أمثال العرب للزمخشري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:٢، ١٩٨٧م.
١٤٢- مسند أبي داود الطيالسي، تحقيق: محمد بن عبد المحسن التركي، دار هجر، مصر، ط:١، ١٤١٩هـ.
١٤٣- المسند لأحمد بن حنبل، تحقيق جماعة من المحققين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط:١، ١٤١٦هـ.
١٤٤- مسند ابن الجعد للجَوْهَري، تحقيق: عامر حيدر، مؤسسة نادر، بيروت، ط:١، ١٤١٠هـ.
١٤٥- مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السّوَر للبقاعي، مكتبة المعارف، الرياض، ط:١، ١٤٠٨هـ.
١٤٦- المصنف لابن أبي شيبة، تحقيق: الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، ط:١، ١٤١٩هـ.
١٤٧- معالم التنزيل في تفسير القرآن للبغوي، تحقيق: خالد عك وزميله، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ.
١٤٨- معاني القرآن للفراء، تحقيق: أحمد النجاتي وزميليه، دار المصرية للتأليف، مصر، ط:١.
١٤٩- معاني القرآن وإعرابه للزجاج، تحقيق: عبد الجليل شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط:١، ١٤٠٨هـ.
١٥٠- المعجم الأوسط للطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله وزميله، دار الحرمين، القاهرة.
١٥١- المعجم الكبير للطبراني، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي.
١٥٢- المفردات في غريب القرآن للراغب، تحقيق: صفوان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت،

ط:١، ١٤١٢هـ.

١٥٣- مقاييس اللغة لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ.

١٥٤- المقاصد الحسنة للسخاوي، تحقيق: محمد الخشت، دار الكتاب العربي، بيروت، ط:١، ١٤٠٥هـ.

١٥٥- مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٤٩٠هـ.

١٥٦- المكي والمدني من السور والآيات من الكهف إلى الناس لمحمد الفالح، دار التدمرية، الرياض، ط:١، ١٤٣٣هـ.

١٥٧- مناهل العرفان في علوم القرآن للزُّرْقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ط:٣.

١٥٨- المنثور في القواعد الفقهية للزركشي، وزارة الأوقاف الكويتية، ط:٢، ١٤٠٥هـ.

١٥٩- منهاج السنة النبوية لابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد، جامعة الإمام محمد بن سعود، ط:١، ١٤٠٦هـ.

١٦٠- الموضوعات لابن الجوزي، تحقيق: عبد الرحمن عثمان، المكتبة السلفية، ط:١، ١٣٨٦هـ.

١٦١- الناسخ والمنسوخ للنَّحَّاس، تحقيق: محمد عبد السلام، مكتبة الفلاح، الكويت، ط:١، ١٤٠٨هـ.

١٦٢- الناسخ والمنسوخ لهبة الله المقري، تحقيق: زهير الشاويش وزميله، المكتب الإسلامي، بيروت، ط:١، ١٤٠٤هـ.

١٦٣- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

١٦٤- النكت الدالة على البيان لأحمد القصَّاب، تحقيق: التويجري وزملائه، دار القيم، ط:١، ٤٢٤هـ.

١٦٥- النكت والعيون للماوردي، تحقيق: السيد بن عبد المقصود، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٦٦- النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، تحقيق: محمود الطناحي وزميله، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٦٧- نواسخ القرآن لابن الجوزي، تحقيق: المليباري، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط:٢، ١٤٢٣هـ.